ليلة الجسر

الى سامي الشوا امير « الكمان »

أسألتَ « سامي » ليلة الجسر : ... من حرك القمري في الوكرِ ؟
من ايقظ الوادي فهب له ... يهتزُّ بين الدوح والنهرِ ؟
من اطلق الاوتار دافقةً ... بلواعج الاشواق والذكرِ ؟
من اودع الارواح شجو هوى ... تبكي عليه آخر الدهر ؟
في موضع التذكار حلَّ بها ، ... فكأنَّ ذلك حادث العمرِ .

يا فنَّ « سامي » : قد جريت الى ... أمد ، وأمسك كلُّ من يجري .
لعبٌ على الاوتار متنقلٌ ، ... والسمع يتبعه على الإثرِ .
أبغمزةٍ من اصبع بُسطت ... دنيا تموج بألف مخضرّ !
وبغمزةٍ اخرى تحطّ بنا ... في مثل صمت المهمه القفرِ !
وبغمزتين تكاد ترقصنا ... بل قد رقصنا آخر الأمرِ ...

يا هذه الاقطار ماثلةً ... للظن : هل للّمس من قُطرِ ؟
لله ما أشهى السبيل الى ... تلك العوالم من رؤى الفكرِ !
مرتجّةٌ ، حلوٌ تموجها ... بالمدّ في النغمات والجزر .
لو لم يكن الاَّ تذوُّقها ... لكفى أليف المجرع المرّ .

أمقاطرُ الأقلام قد نضبت ... لتدفُّق الاوتار بالسحرِ !
ما حيلة الاقلام في لغة ... غنيت عن الأوراق والحبرِ .
عجباً لفقدان الكلام بها ، ... فكأنما تركته للهذرِ ...
أرأيتَ اشهى من مغازلة ... « بالرّصد » في كتب من الشعرِ ؟
هذي مخاطبة القلوب اتتْ ... بالسرّ ، او أخفى من السرِ .
وكأنها طبُّ القلوب ، وما ... تشكوه في الإيذاء والكسرِ .

امين نخله

شخصية النقد المعاصر

بقلم الدكتور محمد مندور

أثبت النقد المعاصر شخصيته اذا قيس الى نقد الجيل السابق ، كنقد العقاد والمازني وشكري وأمثالهم .

فقد كان النقد منصرفا الى نوع واحد من الانتاج الادبي هو الشعر الغنائي ، فالمعارك التي خاضتها جماعة الديوان وجماعة ابولو كانت تدور حول الشعر وضرورة تجديده .

ذلك لان تراثنا من النثر القديم لم يكن يتعدى المقالة والخطبة والمثل ، أما الفنون النثرية الكثيرة كالقصة والاقصوصة والمسرحية التي تملأ حياتنا الادبية اليوم فلم تكن موجودة بهذا الشكل الثابت ، حتى ان متى بن يونس لما ترجم فن الشعر لارسطو ترجم كلمة « تراجيديا » بكلمة المديح ، وترجم « الكوميديا » بالهجاء ، وجاء ابن رشد ، فضل ضلال متى بن يونس في تعليقه على كتاب الشعر لارسطو بطريقة تطبيقه على الشعر العربي على اساس الترجمة الخاطئة التي ترجمها متى . والحق انهم معذورون ، لان الشعر العربي لم تكن فيه نماذج للتراجيديا او الكوميديا بمعناها الذي يعرف اليونانيين لفرق ما بين البيئتين والنشأتين .

ولقد ظل ادبنا الفصيح على جموده ، لم يتطور او يجدد في الاشكال والقوالب المتوارثة عن ادبنا القديم ، على حين جدد الادب الشعبي ، لان الشعب دائما اكثر احساسا بمشاكله وآلامه من اصحاب الثقافة التقليدية ، ولقد تمرد شعبنا على هذا الجمود لانه شعب حي ، لا بد ان يحقق ذاته ورغائبه ، ولذلك خلق الشعب بنفسه لنفسه ملاحمه، لانه يحب البطولة والابطال ، ولذلك تكونت الملاحم التي نشأت عن شعراء شعبيين مجهولين ، ثم اكتملت على مر العصور .

ذلك لان الفصحاء قلدوا السالفين وقع الحافر على الحافر الى منتصف القرن التاسع عشر حينما اخذنا عن الغرب فنونه الادبية كالفن المسرحي الذي ادخلناه منذ عام ١٨٤٨ حيث نقل الينا الاوبريت وغيرها مارون النقاش ، ومن بيروت انتقل الى دمشق والقاهرة ، فتأصل وانتعش ونما فيها بينما لم تطل اقامته في لبنان لقلة الجمهور وقلة الامكانيات .

وكان الشعب اقل محافظة واكثر ابتكارا من ادبائنا الرسميين ، فتبنى (الاراجوز) وخيال الظل .

والمستشرقون يقولون ، ان (قراجوز) كلمة مركبة من (قرا) بمعنى أسود ، و (جوز) بمعنى عين ، فمعناه العين السوداء مأخوذ من التركية ، بينما يقول ليتمان : ان اراجوز تحريف لكلمة (قراقوس) اسم وزير صلاح الدين الذي كان وزيرا حازما متزمتا ، فنشأت الخصومة بينه وبين الاديب ابن مماتي فانتقم منه الاديب بتأليف كتاب عنه صوره فيه بصورة الظالم الطاغية المستبد ، ومن طبيعة شعبنا ان ينتقم من ظالميه بالنكتة ، فاخترع الاراجوز واجرى على لسانه هذا الحوار من قراقوس وسميت اللعبة باسم محرف عن اسمه .

ولقد جود الشعب اكثر من ذلك ، فلم يكتف بالاراجوز بل استخدم خيال الظل الذي لا يعرف متى ولا اين نشأ، ولكن الاشتقاق وتتبعه يرينا انه ربما جاءنا من الصين، لانه سمي اولا : الظل الصيني ، وبعضهم يقول : انه جاءنا من الهند ، او من جبال أورال ، ووصلنا عن طريق تركيا .

وقد كتبت لخيال الظل مسرحيات تسمى (بابات) وكان من المؤلفين لخيال الظل محمد بن دانيال الذي كان كحالا بالغورية — ذلك الحي المشهور من احياء القاهرة القديمة — وقد الف عدة بابات لا تزال مخطوطة بدار الكتب ، وقد كشفها جيكوب وكرامر المستشرقان الالمانيان اللذان ترجماها الى الالمانية ، وعقدا البحوث حولها حتى عثر المبعوثون المصريون الى المانيا على هذه البحوث ومنهم الدكتور فؤاد حسنين مؤلف كتاب « قصصنا الشعبي ».

ثم تطورت المقامة العربية عندنا الى مرحلة وسطى بين المقامة المسجوعة والقصة ، حتى طورها الدكتور محمد حسين هيكل الى قصة حديثة ، فكانت قصته (زينب) من اوائل النماذج الرومانسية في قصصنا المعاصر .

لكن النقد ظل يتجاهل هذه الالوان من الانتاج الادبي ، وظل قاصرا على الشعر الغنائي وتجديده ، فالمعارك التي خاضها النقد في الجيل السابق كانت حول هذا اللون وحده ، على حين كان ينظر الى المسرح نظرة ازدراء ، لانه لم يزل في نظره فنا مبتذلا .

ولقد قرات اخيرا — وانا اكتب عن العقاد في سلسلة النقاد المعاصرين — قرات له رأيا يحقر فيه فن المسرح في رده على رسالة سائل سأله : لماذا لا تنقد المسرح فأجابه بأنه فن مبتذل لانه فن العامة والمهرجين .

ولم يبدأ هذا الفن في ادبنا الرسمي الا بكتابة شوقي لمسرحياته بطريقة جدية عام ١٩٢٧ حينما بدأ يهتم اهتماما حقيقيا بفن المسرحيات ، وكان هذا من أهم ما لفت النقاد حتى العقاد نفسه الذي كان يتتبع خطوات شوقي بالهدم والتدمير ، فلما ترك شوقي شعر القصيدة الى شعر المسرحيات ، لم يتركه العقاد ، بل اراد ان يهدم بناءه المسرحي ، فكتب معارضته لمسرحية قمبيز بمسرحية ساخرة سماها « قمبيز في الميزان » لانه اراد ان يقتل عبقرية شوقي المسرحية بهذه السخرية ، ويمكن تفسير ذلك من ناحية اخرى بأن الثقافة الغربية قد عمقت نظرتنا الى هذا الفن ، على ان نقد العقاد لمسرحيات شوقي لم يكن اصيلا ، لانه لم يكن داريا بأصول الفن المسرحي ، وكل ما صنعه هو مشاكسة لشوقي ، واتهامه بأنه لم يتعمق الاسباب التاريخية والجغرافية ، بل اعتمد على

أسطورة حب قمبيز لبنت فرعون وتقدمه للزواج منها ، وتزييف الفرعون لبنت من بنات الشعب وتقديمها له على انها بنت فرعون ، فلما اكتشف قمبيز ذلك اقدم على غزو مصر انتقاما لنفسه من فرعون .

فهذه المشاكسة لا تدخل في باب النقد الفني للمسرحية والحركة الدرامية المشتملة عليها لان المؤلف حر في اختيار الزاوية التي يلتقط منها موضوعه ، وليس مكلفا بتحقيق تاريخي او جغرافي ، بل قد تكون الاسطورة ادخل في باب الحركة الدرامية من الواقع التاريخي .

وسبب ذلك ان العقاد وجيله من النقاد كانوا مشغولين بنقد القصائد ، فظلت آفاقهم في النقد محصورة في هذا النطاق ، ولكن جيلنا الراهن قد اتسعت آفاقه فلم يتورط فيما تورط فيه جيل العقاد من توقف عند القصيدة ، واذا استثنينا المازني في نقده لغادة الكاميليا التي قدمها يوسف وهبي للمسرح عام ١٩٢٤ وجدنا ان النقاد في مجموعهم قد قصروا عن تناول هذا الفن ، وكانت لفتة المازني الى المسرحية ونقد ما فيها من فكرة وحركة واخراج وتمثيل في هذا الوقت تعتبر شيئا جديدا على النقد الا انها لم تستمر ولم تكتمل .

أما نحن فقد توسعنا اليوم في نقد المسرح ، فلم نقتصر على نقد النصوص الادبية وحدها بل تناولنا الاخراج والتمثيل والحركة والاشارة وكل ادوات المسرح .

واذا تجاوزنا المسرح الى القصة وجدنا ان العقاد وجيله يترفعون عنها بعض الشيء، فاننا نجد ذلك في رد العقاد على سؤال سائل آخر في سبب اغفاله لنقد القصة ، الا اننا نلمح في هذا الرد المام العقاد بمجمل مذاهبها ودرايته بالقصة اكثر من درايته بالمسرح الذي احتقره ، بل لقد جرب انتاج القصة في قصته الاولى والاخيرة « سارة » .

أما اليوم فقد طغت هذه الفنون على النقد المعاصر طغيانا نخشى منه ان ينحى الشعر جانبا ليحل محله ، ذلك لان هذا النوع من الانتاج الادبي قد زحم علينا الجو ، وملأ المجال فوجه النقد المعاصر هذه الوجهة ، واصبح على النقد ان يتابعه .

واری من واجب النقد ان يولي اهتمامه وعنايته بهذه الالوان الجديدة لا بمجرد المتابعة ، ولكن ليحجز عن المجتمع هذا السيل المتدفق من الانتاج، وتعهده بالتنقية والتهذيب فلا يمر من مصفاة النقد الا ما ينفع المجتمع ، ويحتم على القصاص ان يقول لنا ماذا يريد من رواية القصة وتتابع احداثها ، فان لم يكن لديه ما يفسر به الحياة واحداثها تفسيرا جديدا او نافعا ، فليسكت .

ونقد المسرح والقصة ضرورة بالنسبة للفترة التي نعيشها اليوم ، ولا بد ان يصطنع الجد الواجب حتى يغربل لنا هذا الانتاج الكثير الذي نشهده في الحقل الادبي الراهن .

ونقدنا لم يعد نقدا تتبعيا كما كان في الجيل الماضي ، بل أصبح يناقش فلسفة الادب ذاتها ، ويناقش وظيفته في الحياة . هل يزيدنا معرفة بحقائق الحياة والكون ومصير الانسان ؟ أم هو الفن للفن وحسب .

وقد اصبح النقد يعيش على اسس فلسفية ومذاهب ومناقشات على مستوى عال بدل ان كان يدور حول المناقشات اللغوية والقشور والحرفيات والبراعة والاطلاع مثل نقد الرافعي للعقاد وطه حسين مثلا .

وهذا يدلنا على ان النقد يتقدم من حيث الكيف القائم على اسس فلسفية وجمالية ، ويوسع مجالاته حتى يشمل الفنون المختلفة كالقصة والمسرحية والمقالة والاوبرا والاوبريت ويزحف الى بقية الفنون حتى الفنون التشكيلية كالرسم والتصوير والنحت والصوتية كالموسيقى والاذاعة والسينما .

وكان بودنا ان تسهم الجامعات في الخطوات الايجابية التي يتخذها النقد ، وان تنطلق منها الاصوات والخطوات المتقدمة ، ولكننا ما زلنا نلاحظ عزلتها عن الميدان ، وتقدمها البطيء واكتفاءها بالتأريخ للحركات النقدية السلفية .

هذه مشكلة ، والمشكلة الاخرى التي يعانيها النقد اليوم هي مشكلة النشر ، فالصحف الادبية تموت واحدة في اثر الاخرى ، والصحف اليومية تعيش على الاعلانات ، ولذلك تجني اول ما تجني على صفحة الادب اذا تزاحمت عليها الاعلانات ، لان الحيز الذي تشغله مقالة نقدية او ادبية قد يغل عليها عشرات الجنيهات اذا احتلها الاعلان ، وعلى العكس ليس للاعلان مجال في المجلات الادبية بحكم جمهورها ، فتضطر ان تعيش على دخلها من التوزيع وهو لا يفي بتكاليفها .

ولا يستطيع النقد ان يجد له مجالا آخر غير النشر ، فالكلمة المسموعة لا تحل محل الكلمة المطبوعة لان الكلمة المطبوعة ذات اثر كبير عبر الاجيال ، ولذلك لا تغني الاذاعات وغيرها ما تغني وسائل النشر ، لان المجلة والكتاب الجيد وسيلة تفكير لا وسيلة اعلام فحسب ، والكتاب ليس حامل ثقافة فقط ، ولكنه مثير للافكار على عكس الاذاعة والسينما والمسرح .

ومن واجب الدولة والمؤسسات ان تهتم بالنشر اولا ، لان تقصير النقد المعاصر ليس ناشئا من ذاته بقدر ما هو ناشىء من مشكلة النشر ، وعلى الدولة ان تحميه وتؤثل له القوى والمقدرات التي تضمن له الحياة والانتشار حتى يحمي المجتمع من التفاهات والفتاتات التي يتعرض لها من الانتاج السائب المطلق الذي ينطلق بلا هدف .

ومن المؤسف ان تسقط المجلات والصحف الادبية دون ان تهتم الدولة بحمايتها ، واشد ما يؤسف ان تموت المشروعات القيمة التي ترمي الى وضع اسس لنشر الادب واشاعته بالوسائل الفعالة ، فقد اتخذ مؤتمر الادباء الذي انعقد بالقاهرة في العام الاسبق قرارا اجماعيا بانشاء مجلة نقدية للعالم العربي تحمل رسالة النقد وتمدها الى اطراف

روعة الجمال

قصيدة لم تنشر لفقيد الشعر والادب خليل مردم بك

وخميلة نسج الربيع برودها ... براقة من شمسه وغمامه
يزكو بانفاس الازاهر نشرها ... يا طيب انفاس الرحيق بجامه
ويموج من مر النسيم جميمها ... كالماء تجري الريح فوق جمامه
والزهر بين مفتح ومغمض ... احسن بـه في صحوه ومنامه
نفض الربيع عليه من الوانه ... فكانه اذ رف من اعلامه
والطير يشدو والفراش مرفرف ... مرحا وتلعابا على انغامه
والشمس من خلف الغمام كليلة ... لكنها كالبدر عند تمامه
والفرب بالاشباح يزخر افقه ... فكانها الاضغاث من احلامه
حتى طلعت فكنت احسن طلعة ... من باسم النوار في اكمامه
فشغلتني عن كل ما احببت من ... صور الربيع وطيبه وكلامه
وقدحت زند الشعر بي فقبست من ... عينيك سحر بيانه ونظامه
والشعر يستهوى النهى ان كان في ... وصف الجمال وكان من الهامه

خليل مردم بك

هذا العالم ، ولكن القرار قد تلاشى وكانه ولد منسيا .

والجامعة العربية لديها من الامكانيات والمقدرات ما تستطيع به ان تخرج امثال هذه المجلة النقدية المنشودة ، ولكن لا ادري لم لا تفعل .

ومجلة المجلة التي تصدرها وزارة الارشاد مجلة وحيدة لا تستطيع ان تستوعب كل هذا الفيض من الانتاج ، لانها شهرية من جهة ، ولانها ليست قاصرة على الادب والنقد ، ولكنها لا بد ان تستوعب كل الفنون التي تعنى بها وزارة الارشاد من فنون تشكيلية وسينما ومسرح واذاعة وفنون شعبية وغيرها .

ونقدنا كما قلت يحتل آفاقا جديدة ، ويبسط سلطانه على غير الادب من الفنون ، لانه اصبح يدرك ان الوحدة الفنية او الجمالية لا يمكن فصل ميادينها بعضها عن بعض، لانها وحدة فلسفية تشمل الفنون جميعا ، وقيام المذاهب الجمالية على اسس فلسفية وانتشار الثقافة الفنية بين الادباء والنقاد مما يقوي هذا الاتجاه .

وقد تختلف الاراء حول مهمة النقد ، هل يتابع الانتاج او يسبقه بالتخطيط والتوجيه ، وانا ارى ان على النقد ان يسبق الانتاج وان يتعقبه لكي يؤدي المهمتين معا ، ولكن النقد اذا سبق الانتاج فيجب عليه الا يترك فجوة بينه وبين الانتاج الادبي ، بل يكون سبقه سبقا معقولا ، يثير المنافسة ، وعلى الناقد المفكر ان تكون خطواته رائدة ، كما عليه ان يرقب سير المجتمع وهو على مقربة منه حتى لا تنقطع الآمال في اللحاق به .

وتيارات الفكر لا تخلق خلقا ، ولكنها تنبع من المجتمع اذا تهيأت لها تضاريس الحياة والبيئة المهدة ، ووظيفتنا ان نمهد الجو الملائم لانطلاق الافكار الجديدة وان يكون تمهيدنا بحيث يجري من خلاله التيار الفكري الناضج .

ان مهمة النقد الحقة ان يدفع التيار برفق ، وان يهيىء الحقل الصالح لانبات الادب الصالح والفكر العبقري الاصيل .

القاهرة **محمد مندور**

تفاحة المقابر

●

رأى الشاعر ولدا يتسلق جدار المقبرة وبيده
سلة يريد املاءها من جني شجرة تفاح
نامية ضمن جدران المقبرة


فارس سعد

لا تخف شرا فاكناف القبور   هي احفى بك من شم القصور
بلدة الاموات من سنتها   ان تساوي الذل بالجاه الخطير
لن ترى فيها يدا مرفوعة   تستحل اللطم في وجه الفقير
لا ولا البواب فيها قائما   يرفس العبد ويجثو للامير
لا تخف شره عاد واقترب   فهنا قد دفنت كل الشرور
وآجن ما راقك منها دوحة   ما لها حام سوى الموت الوقور
عافها الناس ، فما تحمله   لبني الفقر وافراخ الوكور
سبقتك الطير فيها فاغتنم   بعض ما ابقت مناقير الطيور

*   *   *

شاقه حلو جناها وابت   عفة الطبع له عار المصير
فدنا منها يناجي نفسه   بكلام فيه تبرير الضمير
وربيب الفقر صاح حسه   وربيب اليسر مخمور الشعور
أأنا لص ؟ .. انا ضيف ابي   وابي لم يك باللص المغير
ذنبه عند الليالي انه   عاش ذا فقر وذا قلب كبير
هذه الدوحة ارثي بعده   نشأت منه على ترب طهور
قد تغذت بثراه وجرى   دمه في العرق منها والجذور
ما على اثمارها لو عصرت   اتراني شاربا غير عصيري ؟

رحم اللـه حنانـا من ابي جاءني في شكل تفاح نضير
ورثـة للطير منهـا قسمـة واخـي الطير اخو جـوع نظيري
خصني منهـا بقسم تافـه وهـو منها فاز بالقسم الوفير
يـا اخي جرت علـى حقي ، فما ضـر ان ترحـم ضعفـي وثبوري
انـت في وسعك ان تأتي علـى ثمر الحقـل واغـراس الغدير
وعلى مـا يزرع النـاس لهـم مـن بذور القمـح فيه والشعير
ليس يشكونـك مـا عشت الى صولة الحاكـم او جـور الوزير
واذا مـا رشقوا اسهمهـم كنت كالسهم انطلاقا في المسير
سـلم اللـه جناحيـك الم ترني الوي علـى العـزم الكسير ؟

* * *

مالت الشمس عـلى حدب الربى ترمـق المغـرب بالجفـن الحسير
طـوت الانـوار الا مزقـا نشرت فـوق شماريخ الصخور
والصبا في الروض رقت فشفت مـا بجلـد الغصن من لذع الهجير
ومشى النـاس زرافـات الـى ملتقـى الاظـلال والماء النمير
يغنمـون العيـش فيهـا مثلما ينعم الابـرار فـي جنـات حور
يقطفـون الرطـب من اثمارها ناضر الالوان فـواح العبيـر
والفتى فـي دوحة القبـر لهم شاخص فـي جفنه لحظ الغيور
يشتهي لـو كـان كالناس لـه ما لهم في الحقل من غرس نضير
هاجـه الحزن فجادت عينه خـده الشاحـب بالدمع الغزير
هتفوا لمـا راوه والتقـت ضحكـات الهزء منهم بالصفير
ورموه بالحصى سخـرا ومـن لطـف السخر رمـاه بالقشور
اخذوا مـن بؤسه ملهـى لهم وراوا فـي حزنـه مجنـى سرور
قتل النـاس ، عشـير يبتنـي عـزه منهم علـى ذل عشيـر
يرقص المطلق فيهـم طربـا من رنين القيد في رجل الاسير
ويـرى المحـزون منهـم جرحه بسمة تهزا فـي ثغر القريـر
دفـن الخيـر بهـم مذ ولـدوا فمعاد الخيـر فـي يوم النشور
كـل صدر منهم قبر بـه حية تنهش اشـلاء الضميـر

* * *

ايكـون القبر احفـى كرمـا باخـي الفقـر من القصر الكبير ؟
ايجود الميت بالقـوت لـه ويضن الحـي بالقـوت اليسير ؟
صفحة التاريخ فـي وجـه الندى ان تـرى الايتام اضياف القبور !

فـارس سعـد



الحرية والديمقراطية

بقلم الدكتور محمد عزيز الحبابي
استاذ كرسي الفلسفة بالجامعة المغربية

ايها السيدات والسادة واصدقائي الاعزاء ، ابلغكم تحيات كل المحبين للبنان النشيط ، وهم كثر في المغرب ، يحبونه حب تقدير لجهود ابنائه الثقافية ، وحب اعجاب لنشاط اللبنانيين في كل الميادين ، لبنان بلاد الثقافة العربية المتفتحة وبلاد التسامح والاخاء .

تشرفت بدعوة جمعيتكم الموقرة لاسامركم هذه الليلة ، واني لها شاكر ممنون ، لكن الاستدعاء وافاني منذ قليل ، فلم اجد متسعا من الوقت لتحرير محاضرة ، ولهذا اكتفي اليوم بعرض افكار عجلى حول الموضوع الذي اقترحته على الجمعية : «الحرية والديمقراطية» . ان هذا الموضوع سهل وواضح كل السهولة والوضوح ، ولهذا يصعب جدا تحليله ، فاذا كان جميع الناس يعرفون بالبداهة معنى الحرية ومعنى الديمقراطية ، فانا اعترف بديهيا واستدلاليا بجهلي الكلي لمعنى حرية ولمعنى ديمقراطية ، بل ازيد باني لا اعرف لهما وجودا في الواقع (وارجو ان لا تعتقدوا أني هازىء) . لقد تساءلت عن مدلولي حرية وديمقراطية ، فكانت اجوبتي ما سأعرضه عليكم .

القسم الاول : معنى حرية ؟

انها كلمة قد تسلط عليها ابهام كبير لكثرة ما لاكتهـا الالسن ، ولكثرة ما راجت في مختلف الهيئات والميادين ، منذ اقدم العصور . فامتن ما يمكنني قوله عنها : انها اسم مؤنث مشتق من مادة الحاء والراء المضافة ، او : انها كلمة قديمة كل القدم ، تستعمل في الفلسفة واللاهوت والسياسة ، ويتناقش فيها الناس في المؤتمرات ... وهي ايضا من الكلمات الشعرية المحببة الى النفوس :

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

فما وراء الباب ؟ أضياء ام ظلام ؟ كل هذا لا يعنينـا ، مطلقا ، على ابراز مفهوم حرية .

اولا ـ ليست هناك حرية ، ولكن حرية كذا .. او كذا .. فاذا لم ترتبط كلمة حرية باضافة او وصف ، وبقيت مجردة ، صحبتها بلبلة لا يجد معها الفكر «حرية» مستقيمـة في نشاطه . فبقدر ما تضيع صيفتها المطلقة وتتخلى عن اتساعها الكلي المجرد ، بقدر ما تكسب معنى واقعيا .

فليست هناك حرية ، ولكن حرية الصحافة ، وحريـة الاجتماع ، وحرية المعتقدات .. الى غير ذلك . ومن هنـا يبدأ التناقض ، الحرية قبل كل شيء التقيد ، بحيث لا يفهم مدلولها الا اذا تنازلت عن الاستقلال الكلي والتزمت التحديد .

ثانيا ـ حرية الصحافة ، ما هي ؟ فحتى في الامم التي تعد في طليعة الشعوب الديمقراطية نلاحظ تناقضا كبيرا . فمثلا لا يمر شهر دون ان تمنع صحيفة ما في فرنسا ، لان السلطة لا ترضى على مقال او مقالات . فهل معيار حرية الصحافة ارضاء الحكومة ؟ والصحف التي تحجز ليست دائما صحف اليساريين ، فصحيفة Aspects de la France المعروفة بنزعتها اليمينية المتطرفة ، كذلك تكون ضحيـة لمقاومة رجال السلطة ، فمنع الصحف يخالف حرية القول ويجعل من الحكومة خصما وحكما في وقت واحد . ولكن يجب ان نتساءل هنا : أحرية الصحافة ان يقول الناس ما شاؤوا ، فيما شاؤوا ، وفيمن شاؤوا ، وحتى شاؤوا ، واني شاؤوا ؟ فاذا اجبنا بنعم فمعناه اننا نجعل حرية الصحافة مرادفة للفوضى في القول ، فاتحين الابواب امام تحريضات مختلفة ، والكذب ، والتهديد بالتشهير ، (شانتاج) مما يعرض بحريات الاخرين الى اخطار مادية ومعنوية . أمعيار حرية الصحافة مشيئة رجال الاقلام ، نعني اقلية من الناس ؟ فنحن الان في حيرة ، اما ان نجعل المقياس هو ارادة الحكومة ، واما ارادة الصحافيين ومن يوحي اليهم بما يكتبون .

وحرية الصحافة تستلزم حرية الاجتماع . والناس لا تجتمع الا حول اراء وضد اخرى ، اي لا بد في كل هذا من حرية الاتجاه السياسي والمعتقدات والمذهـب . ومن الحكم بين مختلف الاتجاهات والهيئات ؟ مثلا بين اليمـين واليسار ، الراسمال والنقابات ؟ فالحكومة تتكون من افراد ينتمون الى هيئات ويصعـب عليهم ان يعاملوا بتسامح حرية الراي عند خصومهم :

اذا كان خصمي حاكمي   كيف اصنع ؟ ..

لنا حرية الاجتماع ، وحرية القول ، ولكن سنجتمع حول أي شيء ؟ وماذا سنقول اذا لم يكن لنا من الامكانيات الثقافية ما يخولنا من فهم الاحداث ومسايرتها والتعبير عن نظرتنـا حولها ؟ فالشرط الاول لحرية الراي ولحرية الاجتماع ان تتوفر لنا اسباب الثقافة ونعطى الفرص للاستفادة منها ، هذا اولا ، وثانيا ان يضمن معاشنا اليومي مما يترك لنا من

● القيت هذه المحاضرة بنادي خريجي كلية المقاصد الخيرية الاسلامية ببيروت

الوقت ما يكفي للدراسة ،

فلا حريات ، بل ولا كرامة للانسان ، ما دام يهدده الجوع والمرض ، او يفني كل ساعاته في جهد جاهد من اجل الحصول على الضروريات المادية ، فالتحرر المادي اول مرحلة في سبيل التحرر الفكري والمعنوي . ولا تحرير في الميدان الاقتصادي الا عن طريق الشغل .

ان ميدان الشغل متشعب للغاية ، يتمايل بين استغلال جهود العمال وبين استقلالهم فكريا ضمن استقلالهم المادي. فالشغالون الذين لا يجدون معنى وتعاليا في عملهم ، يسترقهم استرقاقا ، عوضا عن ان يعينهم على تفتح الشخصية والتحرر . فلا بد اذن من ان يحمى المستضعفون فكريا وثقافة واقتصاديا ، اي القاصرون عن مسايرة الاحوال الخاصة والعامة : ان يحموا من سموم الدعايات الزائفة التي يمكن ان تستغلها الصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما. ومن الحامي ؟ وما الحماية ؟

الحماية هنا ، معناها المراقبة ، اي تحديد لحرية القول ، وليس الحامي الا رجال السلطة ، فاذا سمح لهم بهذا وتدخلوا عمليا ، تمكنوا من حق توجيه الراي العام ، وذلك اول خطوة في الفاشستية . فمن جهة نرى الحرية المطلقة مدعاة الى الفوضى ، وربما اصبحت اداة سيطرة اقليات على اكثريات ، ومن جهة اخرى ، اذا قيدت بمراقبة الحكومة ، عادت تحت رحمة من بيدهم الامر ، تتلون بلونهم ، فتصبح بحمدهم او تضعف حتى تموت .

نخرج من تحليلنا للحرية بثلاث نتائج :

١ ـ لا توجد حرية ، بصفة مطلقة مجردة ، او ان شئتم «لازمة» كما يقول النحويون : ان كل حرية تكون متعددة والا بقيت بدون محتوى .

٢ ـ تكاملية الحريات : اي ان كل حرية تستلزم حريات اخرى ، نعني انه لا حقيقة لاية حرية الا في مجموعة من الحريات ، تتكامل معها وتكمل وتتكيف بها .

٣ ـ لا تفهم اية حرية الا اذا ارتكزت على معايير .

قضية المعايير هي ملتقى الحريات بالسلطة ، كما راينا . للسلطة هدف هو تسيير امور الامة ، وامور الامة تتنوع ، على حسب الظروف والاجيال والطبقات . وربما مصالح طائفة ناقضت مصالح طائفة اخرى ، ثم ان لكل هيئة وسائل خاصة في الدفاع عن مصالحها : فاذا وقع صراع بين طائفتين كيف يكون موقف الحكومة ؟ أتؤيد احداهما على الاخرى ؟ اتتركهما يتناحران ؟ فالتحيز ظلم ، والحياد خيانة لامانتها. مثلا : في الولايات المتحدة صراع بين اصحاب معامل الحديد والعمال وقد طال الاضراب ثلاثة اشهر ويزيد . فمصالح الراسماليين ان يستانف العمل، وان لا ترتفع اجور العاملين حتى لا يتضرر راس المال، ويرون في الاضراب حاجزا دون حريتهم في تسيير امورهم. ويرى البعض من المسؤولين الاميركيين ان من واجب الحكومة الضرب على يد الشغالين لانهم يعوقون اصحاب الاسهم من حرية التمتع بتشغيل المعامل.

وأما العمال ، فحريتهم أن لا يحرموا من نتائج التقدم التقني ، وان ينالوا حظهم من الثروات الاقتصادية والرقي المادي والثقافي . فحرمانهم من هذا التمتع يكون لهم كبتا فظيعا . وهل من بؤس اعمق من مضاعفة هذا الكبح؟ ان حياتهم متناقضة في كيانها ، يشاركون عمليا في مجموع النشاط المادي الذي تنبني عليه الحضارة ، وفي نفس الوقت يبعدون عن نتائج جهودهم ، محرمين من التمتع بالراحة والفراغ وبالوسائل المادية والمعنوية اللازمة للتكامل النفسي والتثقف ، نعني من الترقية الاجتماعية . فلا وسيلة لهم اذا لتحقيق هذه الاهداف ، سوى النقابات .

ان وجود نقابة يستلزم حرية الاجتماع ، وحرية الراي ، وحرية التعبير . لكن اذا اجتمع المسؤولون النقابيون وقرروا شيئا ولم توات مصالح خصومهم ، فما المخرج ؟ لا يبقى لديهم الا سلاح سلبي : الاضراب عن العمل .

الاضراب تعبير ساكن على ان الشغالين مقيدون لامخيرون في تحقيق مراميهم . لكن هذه القوة المكتفة الايدي ، تواجه قوة لها حريات هي الاخرى تدافع عنها. فتدخل قوة الثالثة ضروري لايقاف الصراع . هذه القوة الثالثة هي السلطة ، تتدخل باسم المصلحة العامة ، لتفرض حلولا . ولكن هذه المصلحة ليست «بعامة» ، ما دامت نتيجة الحكم ستكون على حساب طبقة العمال او لهم على حساب خصومهم .

ما هي المصلحة العامة ؟

المصلحة العامة كل ما يعود نفعه على مجموع افراد الامة. وبما ان مصالح الطوائف خاصة لا تمثل الا مصالح الاقليات (وحتى اذا مثلت احداها مصالح الاكثرية، فالاكثرية ليست مجموع الامة) . فالسلطة وحدها ـ نظريا ـ يمكنها ان تحل المستوى الاعلى، مستوى الشمول، فوق الاقليات والاكثريات فتعتبر الاليق بالصالح العام ، وتراعي المستقبل بقدر ما تعني بالحاضر .

بيد ان الحكومة هي الاخرى مجموعة افراد لهم ميولهم واغراضهم ، ومواهب تتوفق احيانا . ولهذا هناك شيء كفيل بان يضمن لنا ان اعمال رجال السلطة ترمي دائما لما فيه المصلحة العامة ، ولو حاول بعضهم او جلهم . انهم خاضعون ابدا لمؤثرات شتى ، مما يعوق مسؤوليتهم الاخلاقية عن التفتح الكامل . فهناك الجهل ببعض نواحي المسائل المعروضة عليهم ، وهناك المرض والخوف من الاقليات والاكثرية وما لكل منها من وسائل الارغام والتغرية، وهناك المرض والخوف من الاقليات والاكثرية وما لكل منها من وسائل الارغام والتغرية، وهناك العاطفة والغضب. كل هذا يمنع رجل السلطة من القيام بمسؤوليته الاخلاقية بطرق عادلة ، اي طبقا لمصلحة مجموع الامة . فالمسؤولية الاخلاقية ، قبل كل شيء ، شعور بوجوب تحمل نتيجة اعمالنا ، وهذا لا يحصل الا اذا توفر ما يشترطه فقهاء الاسلام فى « المكلف » اي ان يكون بالغا ، عاقلا ، حرا .

والبلوغ هنا ليس حالة بيولوجية فحسب ، بل لا بد فيه

من الحصول على مستوى ذهني ملائم للقيام بالمهام ، وهو سن الرشد ، ويقابله السفه . الشرط الثاني ان يكون المكلف عاقلا ، وليس معنى العقل ما ضد الحمق فحسب، بل ضد الغضب كذلك . ولقد تفطن السيد المسيح الى ما للغضب من عواقب وخيمة ، فقارنه بجريمة القتل في « خطبة الجبل » (انجيل متى ٧ : ٢١ — ٢٢) ، ونبي الاسلام يقول فى حديث صحيح : « لا تحكم وانت غضبان»: فالتاريخ يعطينا امثلة متنوعة من نتائج الغضب الاجرامية، فكم من قائد سفاح دفعه الغضب الى مذابح هيستيرية ، مثل عبد الله السفاح ، ونابليون وستالين . والغضب الهيستيري نوع خفيف من الحمق، اما النوع الذي يبلغ كامل قواه فهو الجنون كما كان الحال في اتيلا وفي هتلر .

والشرط الثالث في المكلف هو الحرية . نجد انفسنا من جديد فى مأزق : لقد ذهبنا من الحرية (او الحريات على اصح تعبير) ثم ها نحن نرجع القهقرى الى حيث بدانا .

فالحريات ، بالنسبة لفرض او لطائفة ، تخضع لتيار حياة الامة جمعاء ، فهي فى صراع دائم . ولكي لا يصبح الصراع فوضى أو حرباً شعواء ، كان لزاماً أن يتدخل رجال السلطة . ولا يمكن هؤلاء القيام بمهمتهم الا اذا تحرروا من كل القوات المعادية للعدالة ، وشعروا بكيفية واضحة محكمة بمسؤوليتهم . ولن يصلوا اليها الا عن طريق الضمير، فهو منبع المسؤولية الاخلاقية (خلافا لمن يدعي ان منعها هو الخوف من عقاب القانون) .

والضمير اذا الشعور الواعي بأننا نتمتع بقوة تخولنا السيطرة على اعمالنا ، ساعة التفكير فى العمل وساعة التنفيذ . ولا وعي للضمير الا اذا استوعب العمل الصادر عنا فتسنى له الحكم عليه حكم قيمة .

وبما ان الضمير مشترك بين الحاكم والمحكوم ، لو انصف الحاكم لاستراح المحكوم ، ولو انصف المحكومون لاستراح الحكام .

نستنتج مما تقدم ان مشكلة الحريات اخلاقية في صميمها : ١ — لان مصدرها الضمير ٢ — لانها اولا واخرا تدعو الى حكم قيمة : الخير والشر ، القبح والجمال .

وبما ان الضمير والقيم العليا عامة تشمل جميع اصناف البشر ، فالحريات في اصلها انسانية،طبيعية نوعية،اصيلة.

نتساءل الان هل يمكن ان نرتفع من مستوى الضمير الفردي الى ضمير جماعي ، بحيث تتصل الاخلاق بالاجتماع صلة متينة .

هذا التساؤل فى غير محله ، لان الاخلاق اجتماعية في اصلها ، فكل مسؤول ، مسؤول امام ضميره طبعا ، وامام البيئة . والبيئة وحدها مقر القيم والمعايير الاخلاقية، وهي الخالقة للضمير خلقا: فيها يتكيف انفعالا للفضائل والمساوىء، فمثلا الوعي ايام الرخاء غيره ايام الشدة . ثم ان اصحاب علم الاجتماع يقررون ان المسؤولية كانت ، بادىء ذي بدء ، مشتركة غير محددة :

« وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد »

فالارتقاء لم يبدأ من الشعور الشخصي بالمسؤولية ، بل من الشعور القبلي الطائفي المشترك .

فمفهوم فرد ، ثم شخص ، لم يلج الذهنية الانسانية الا اخيرا فى التاريخ ، لان العصبية عاقت الشخصية الفردية عن التجلي حتى عصر سقراط : « اعرف نفسك بنفسك » وحتى عصر الديانات الابراهيمية في الشرق الادنى والاوسط: « لا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى» (قرآن) . فالمسؤولية لا تقع الا على من قام بالعمل ذاته ، فاصبح الحلال بينا والحرام بينا ، واخذ فقهاء الاسلام يفرقون بين « فرض عين » و « فرض كفاية » .

ولكن هذا الانقلاب العظيم لم يكن ليقع لولا الثورة الفكرية والنفسية التي ارغمتنا على ان نعترف لكل كائن انساني بكرامته وحرمته ومساواته باي انسان آخر . ان كل واحد — في ذاته ، شخصيا — اشرف المخلوقات واعظمها شأنا .

فكيف تصان بالتساوي الملائم هذه الكرامة ، مثلا عند الضعيف وعند غير المكلف ؟ فخلافا لما ادعاه ديكارت ، ان قوة

تمييز الحق من الباطل ليست « أعدل الاشياء توزعا بين الناس » ، فاجادة الحكم تنمو او تنقص مع الكفاءات الذهنية والفكرية وتأثيرات البيئة . فلا بد من السلطة للذود عن المستضعفين ، ولصيانة السلطة نفسها من مرضها الطبيعي (اي التعسف والاستبداد) لا بد من سلطة اخرى اكبر جاها وجبروتا للمراقبة والتوجيه . لكن من يدري ان السلطة الثانية ستبلغ حد الكمال ولا تتوقف على سلطة ثالثة لتراقبها ، والثالثة الى رابعة ؟ وهلم جرا ... ان هذا المنطق يجرنا الى الدور والتسلسل .

ها نحن أولاء قد تدحرجنا من المسؤولية الاخلاقية الى المسؤولية القانونية : الاولى تقوم بحكم قيمة ، فحريتها خاضعة الى تأنيب الضمير (عقاب باطني) اما الثانية فتحرص على احترام القوانين(الزجر القانوني) . فيكون على هذا ان الحريات خاضعة خضوعا مضاعفا ، للضمير (المسؤولية الاخلاقية) وللدساتير والاعراف (المسؤولية القانونية والاجتماعية) .

بحثنا عن الحرية ، فوجدنا حريات ، وفحصنا الحريات فاذا هي تقيد وتحديد . الى هنا وصلنا ، فاذا كان ما تقدم يلتصق شيئا ما بالواقع ، خرجنا بثلاث نتائج : ١ ـ الحريات ترتبط بالسلطة ٢ ـ السلطة لا تقوم بمهامها الا اذا تحررت مما تحمل فى تكوينها من اخطار على كيانها . ٣ ـ لا سبيل لهذا التحرر الا عن اخضاع السلطة كهيئات انسانية للسلطة كدساتير (الدستور مجموعة القوانين الاساسية لنظام بيئة او طائفة ما) .

القسم الثاني : معنى الديمقراطية ؟

يعرفونها ، طبقا لاشتقاق اللغوي (سلطة الشعب) : انها النظام الذي يجعل السلطة بيد مجموع افراد الامة ، دون اعتبار فوارق الجاه او الغنى او غير ذلك .

لكن اذا كان الشعب بمجموع افراده هو مصدر السلطة والغاية منها ، هو الحاكم والمحكوم ، لم يبق مجال لهيئة حاكمة .

الواقع يعاكس هذه النظرة السطحية البسيطة. فالتاريخ لم يشاهد ، مطلقا ، ان شعبا تولى الحكم بنفسه مباشرة. ربما لوحظ هنا انالمقصود بالديمقراطيةهو حكومةيرتضيها الشعب . نجيب على هذا بان فى التاريخ امثلة تفوق الحصر لحكومات استبدادية ارتضتها الشعوب ، فالفراعنة ادعوا الالوهية « انا ربكم الاعلى » (قرآن) . وموسوليني كان يتكلم باسم الشعب الايطالي باجمعه ولم يغتل الا بعد ان خسر الحرب . فالتعاقد الذي يدعيه جان جاك روسو فى كتاب « العقد الاجتماعي » يعتمد ، اكثر ما يعتمد ، على قبول كل فرد ان تتقيد جميع حقوقه تقيدا تاما ويجعلها تحت تصرف البيئة جمعاء .

فالمرء يتخلى كليا عن كل حرياته الطبيعية ، فى مقابل حريات مدنية يعطيه اياها مجموع الشعب ، اي الحاكم ـ المحكوم ، الهدف والمصدر للسيادة . فتخلي الفرد عن حقوقه لصالح الدولة ، انما هو شكلي لا اكثر ، لان الدولة تعيد له نفس الحقوق ، غير منقوصة ، الا انها تردها اليه فى قالب اجتماعي بعد ان كانت حقوقا طبيعية . فدور الدولة المحافظة على الحقوق التي تؤتمن عليها من لدن مجموع افراد الشعب ، واهمها الحرية والمساواة . فمهمة الدولة في ذلك القيام بما تمليه الارادة العامة. كل هذا يمكن قبوله نظريا ، اما ان اعتبرناه من الجانب الوضعي ، اتضح لنا انه لا يتصل بالواقع : ١ ـ لانه يصعب علينا تخيل امة باجمعها في صعيد واحد ، تعبر بصوت واحد ، عن ارادة واحدة . ٢ ـ لان ما يقصده روسو « بالارادة العامة » ليس المجموع العددي للارادات الفردية ، بل ارادة ترمي الى ما فوق المصلحة الخاصة ، اي الى المصلحة العامة .

ها نحن مرة اخرى مرغمون ان نتساءل : ما هي المصلحة العامة ؟ واذا عثرنا على حقيقة تسمى « المصلحة العامة » ايجوز لنا ان نقول مع روسو انها تسمو على المصلحات الخاصة ؟ الا يحصل فى الواقع تصادم بين النوعين من المصلحة ؟ فاذا اعترفنا بالصراع بينهما ، لزمنا ان نسأل من جديد : من الحكم ؟

يجيب روسو : ان الارادة العامة التي تعمل على تحقيق المصلحة العامة مستقيمة فى اتجاهها ، بيد انها تقع في اغلاط تخطىء كما يخطىء الأفراد ، ولهذا يجوز تبديل القوانين كلما دعت ضرورة الاصلاح . نسأل : من سيقرر الاصلاح ويحدد وسائله ؟ واية ضمانة لنا فى ان مـا سيحدث من تجديد هو اصلح مما كان ؟

بما ان روسو يقول بان المثل العليا الاخلاقية فطرية ، وبفضل العزلة والانفراد على الحياة الاجتماعية ، يجوز لنا ان نعتبر آراءه نظريات في الواقع لا مشاهدات للواقع . اذا كان فى تحليلاتنا السابقة شيء من الواقعية ، فاننا نخرج بنتيجة عامة : انه لا توجد ديمقراطية ، لا الديمقراطية طبقا للاشتقاق اللغوي ، ولا الديمقراطية طبقا لآراء روسو . وهذه نتيجة سلبية ، كالتي وصلنا اليها فى القسم الخاص بالحرية ، رغم محاولاتنا الايجابية . اذن : لا حـرية ولا ديمقراطية .

فلنحاول الان ان نغير طريقة البحث ، فعوضا من انقول: « ما هي الحرية ؟ » و « ما هي الديمقراطية ؟ » نتساءل : « هل هنـاك ما يعادي الحرية ؟ » و « ما هي اضداد الديمقراطية ؟ » . فربما وصلنا الى نقطة ايجابية بطريقة سلبية ، لكن هذه النتيجة لن تكون تعريفا ، وانما تقربنا من المفهوم العام للفظتين ، وسوف لا نفصل بينهما ، بل نحاول فهمهما مرتبطتين .

القسم الثالث

الديمقراطية هي النظام المخالف للحكم المطلق فيعد حكما ديمقراطيا كل حكم لا يستبد فيه بالسلطة فرد او طائفة. وهكذا تصان حريات الافراد عن العبث والاستغلال .

والحريات لا يراد منها النزعة الفردية ، لان الحريات

شخصية من اصلها . فالشخص يتعدى الفردية لتحقيق القيم الانسانية المشتركة ، ويهدف للتكامل داخل المجتمع . فالديمقراطية على هذا نظام عام يفسح المجال لكل الامكانيات امام كل شخص ، النظام الذي يخولنا ــ بصفتنا اشخاصا ــ الوسائل الناجعة لكي نحيا (في وعينا وفي سلوكنا) القيم العليا المشتركة .

فليست الديمقراطية اذن غاية في ذاتها ، بل ممرا للتعالي : الانتقال من فرد مغلوق على ذاته الى شخص يتفتح باستمرار نحو جميع امتداداته المادية والمعنوية والفكرية . واما الحريات ، فهي كل نشاط يقرب من هذا القصد ، انها اذن وسائل من بعض الوجوه ، كالديمقراطية .

وتجتمع الحريات بالديمقراطية تحت لواء السلطة : فدور السلطة ان تحدد وتراقب الحريات الديمقراطية ، وفي نفس الوقت ان تصونها ، وتدافع عنها ، وتدفع بها الى الامام . والسياسة ، نعني وظيفة رجال السلطة ، قبل كل شيء ، الحيطة ، اي مراعاة الممكنات الحالية واعتبارها بالنسبة للمستقبل . فالسياسة يفرضها التاريخ ، ولكنها لا تستطيع ان تفرض شيئا على التاريخ : انها بنت الممكن ، فانى لها ان تنجب الحتمية ؟ كل ما يطلب منها ان تزيل من طريق الاحداث ما يعوقها عن المسير نحو الغاية المثلى : الترقية الانسانية . فتعد سياسة فاشلة كل سياسة لا تقرب من تحقيق مطامح الشعب الطبيعية ، من ازدهار الانسان العام . ومن هنا كانت السياسة قوة تداعي لكل انواع النشاط لدى الانسان ، في تأثيره وانفعاله ، وكان لزاما عليها ان ترتكز على ثقافة متينة تشمل العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية ، ما دامت غاية السياسة ان تلعب دور المحرك الاول لخلق الانسان لبشرية ارقى .

اول اعتراض على هذا هو ان هنـاك تناقضا كبيرا بين هدف السياسة كما يجب ان تكون ، وما تفعله في الواقع ، شرقا وغربا : هنـاك المثالية الاخلاقية ، وهناك الواقعية التاريخية . كل الحكومات ــ الا القليل النادر ــ تدعي الديمقراطية والاشتراكية ، حتى هتلر نفسه كان برأس الحزب « الوطني الاشتراكي » . وهكذا « كل يدعي وصلا بليلى ، وليلى لا تقر له بذاك » .

انستنتج من هذا ان كل انظمة الحكم متشابهة ، وان الانسانية مصابة بخطيئة السياسة ، او ان السياسة بكل اصنافها خاطئة ؟ انضرب عرض الحائط بالارادة العامة وننكر وجود المصلحة العامة مكتفيين بالدعاء على « ساس يسوس وما تفرع عنها ؟ »

حقا ان روسو لم يراع الديمقراطيـة الا من الوجهة الشكلية . وقد اعترف هو نفسه بان النظام الديمقراطي ، كما يرتأيه لا يمكن تطبيقه الا في امم صغيرة جدا . بيد ان لهذا النظام فائدة مهمة : « فالعقد الاجتماعي » يفرض ان منشأ السلطة هو حرية الاختيار لدى مجموع افراد الامة . فالارادة العامة تستلزم حرية الراي ، وحرية الاجتماع وحرية المراقبة . كما أن حريات مجموعة الامة تستلزم بدورها تحديد حريات الفرد باسم مصالحه التي تدخل حتميا في المصلحة العامة . على ان ما بين نوعي المصلحة من فرق انما هو شكلي ولا يتعلق الا بالجزئيات : فالمصلحة العامة هي مثـلا : السلم ، وازدهار الاقتصاد ، وانعدام البطالة . . . وكل هذا لا يعاكس مصالح الفرد السليم .

فاذا وفق المسؤولون الى معرفة المصالح العامة ، واخلصوا في انجازها ، اصبحت السياسة فنا اجتماعيا يرمي الى خدمة المجتمع بالديمقراطية ، ويصير شرط السياسة المثمرة هو الديمقراطية الحقة ، وهدفها هو تقدم الانسان وانتشار الحضارة .

مهما يكن من شيء اذن ، فان النظام الذي يعطي للمرء اكثر الامكانيات والفرص لتحقيـق البعض مـن حرياته الضرورية ، هو النظام الديمقراطي : فالتصويت العام ينم عن شيء من الاختياريين البرامج التي يقدمها المنتخبون (بفتح الخاء) فيكون للمنتخبين (بكسر الخاء) بطريقة غير مباشرة ، حظ في توجيه سير الامور . ثم ان المجالس النيابية (اذا لم يقـع تزوير في الانتخابات) تمثيل حي لاكثرية الشعب ، تشرع باسمه وطبقا لارادته . نعم ، ان الديمقراطية لما تصل الى اية وسيلة لتمثيل الارادة العامة ، ولكن « ما لا يدرك جله ، لا يترك كله » . فالغالب ان الاكثرية تقترب من الارادة العامة اكثر من الاقلية (نعم ، قد يكون مجموع الاقليات ملتفة اكثر عددا مـن الاكثرية الانتخابية) . فالديمقراطية تحرص ، بما لها من قوى ، على ان يصبح الشعب اكثر الضمانات لمراقبة رجال التنفيذ . وان مبدأ فصل السلطات (التشريعية والقضائية والتنفيذية ، كما ارتآه لوك ومونتسكيو) يخضع المسؤولين عن كل سلطة لمراقبة رجال السلطتين الاخرتين ، مما يعزز جانب الدستور (رمز الارادة العامة) ويحول (على قدر الامكان) دون استغلال السيادة العامة في مصالح خاصة .

لكي نلاحظ انه لم يتحقق فصل السلطات ، وحتى في الامم الدستورية القديمة ، تحققا تامـا كما تقتضيه الديمقراطية . قد فصلت السلطة التشريعية ، الى حد ، عن السلطة التنفيذية ، بيد ان السلطة القضائية ما زالت خاضعة للحكومة ، فهي التي تعين القضاة وتقوم بترقيتهم ، فهم من بعض الوجوه ، شبيهون بالموظفين . وربما كانت في الطريقة المتبعة في الولايات المتحدة الاميركية ضمانات اوفر منها باوروبا ، بالنسبة لاستقلال السلطة القضائية ، لان القاضي بالولايات المتحدة ينتخب من قبل الامة ، فهو حر في مهماته ، فاذا وقع اختلاف بينه وبين الحكومة ، رفعت القضية امام المحكمة العليا .

فعلى هذا ، تكون الصفة الاولى للديمقراطية هي الضدية : انها حصن ضد الاستبداد ، ضد الاليغارسية ، ضد الفوضى . فدور الوقاية هذا ايجابي في هدفه ، سلبي في شكله . وهذا التناقض الداخلي هو السبب في صعوبة مفهومي حرية

وديمقراطية . لكن ، نلاحظ ان لهذه المنزلة بين الايجاب والسلب ، فائدة كبيرة : فبفضلها نتغلب على الغموض التام الذي صادمنا من اول وهلة ، وساير بحثنا في كل مراحله.

ومما يجب ان نلفت اليه النظر ، هو انه لا حريات ولا ديمقراطية الا في نظام مزدوج من السلبية والايجابية ، فكلما تغلب قطب على الاخر انعدم التوازن الداخلي . فجوهر الحريات وجوهر الديمقراطية شيء واحد ، ولكن ليساحدا في ذاته : فلا حريات الا بين ... فالحرية الشخصية بين العبودية والفوضى ، بين الاختيار المطلق والخضوع لجبرية مطلقة ، والحرية السياسية بين الحكم الديكتاتوري ونكران جميع انظمة الحكم (النهليسم) او العدمية المطلقة، والحرية الاقتصادية بين راسمالية استغلالية واشتراكية متطرفة وتكنوكراسية (اي تجعل السلطة في يد طائفة من الارستقراطية التقنية) وحرية التفكير بين نكران كل القيم والتقليد الاعمى .

فالديمقراطية اذن نسبية : فما يسمى بالعالم الحر ، او الديمقراطيات الغربية ، لم يتحرر بعد من مخلفات العصور البائدة ، في ميدان الاقتصاد على الخصوص ، من استغلال لجهود العمال والمستضعفين ، ومن مزاحمات طاحنة بين الاقوياء ، ومن استعمار وعنصرية . ولقد صدق احد المفكرين الفرنسيين اذ قال : لا يمكن لاي شعب يضطهد شعبا اخرا ان يتمتع بالحرية .

وفي مقابل العالم الحر ، نجد ما يسمى بالامم الاشتراكية والديمقراطيات الشعبية ، وهذه الامم قد تحررت الى حد ما من الاستغلال المادي ، ولكنها لم تكتسب بعد الحريات السياسية .

ونحن لا نود هنا ان نعطي حكم قيمة على نظام الغرب او على نظام الشرق ، وانما اشرنا الى ما في كليهما من تنافس مما يعزز الاعتراف بالنسبية ، خصوصا وان كل منهما يرمي الاخر بدس الكرامة الانسانية وعدم احترام حقوق الانسان .

فلكل منهما وجهه ، وحسن نية ، ولكن الواقع لا ما ننوي بل ما ينتج عن اعمالنا . ومعنى هذا ، ان العالم لم يصل بعد الى ديمقراطية حقة ، تترفع عن القومية العنصرية وعن مختلف الفوارق والمقاييس الضيقة . فالنسبية هنا ليست النظرة القصيرة ، بل النظرة الواقعية التي تلازم الاحداث ، خيرها وشرها ، في صيرورة التاريخ الانساني العام ، فالانسان يصنع تاريخ الانسان ويوجهه .

يسوغ لنا ان نقول بأن الديمقراطية ــ في المرحلة التي وصلت اليها الان ــ مجموع من الجهود لتحقيق نضال عاقل يضمن لنا الحريات والمساواة في كل الميادين . فمصلحة السلم العالمي ، ومصلحة الرقي والحريات والديمقراطية الحقة ، ان تتكامل الانظمة الغربية والشرقية ، ويتحرر الاقتصاد والاشخاص معا، فلنظم الغرب فضائل ومساوىء، ولنظم الشرق فضائل ومساوىء .

والعالم العربي ؟ اين العالم العربي من كل هذا ؟ انه لا يزال ــ ويا للاسف ــ في طور الانصهار ، لم تتحدد بعد معالمه واهدافه . له فضائل كثيرة ، ومساويء كثيرة . فمتى يواجهها بصراحة وموضوعية علها تنجلي ؟ ان الديمقراطية، وبصفة عامة المدنية الحديثة، ليست وقفا على قارة او ملكا لشعب بعينه . فالى متى سنبقى على هامش الحضارة الحالية ؟

اني متفائل ، لان مثل هذه الندوة ، في مثل هذه البلدة ، وبين نخبة من مفكري العرب ، لضمان على اننا بدأنا نستيقظ ، وبدأنا نحاسب انفسنا ، وعوضا من امثال هذا الشعار « نموت ليحيا الوطن » سنقولها قولة حازمة لا تعرف مجاملات ومراوغات الماضي البعيد والقريب ، نريد ان نحيا لنقتل الوطن المتعفن ، ونخلق وطنا جديدا ، يحيا مع الشعوب وحياة واقع القرن العشرين ، لا فوق الشعوب الاخرى ولا تحتها .

الربـاط — **محمد عزيز الحبابي**

صــــــلاة

نشيد من « ملحمة الانسان »

وهي قصيدة طويلة

ثريــا ملحس

يا ربنا في المنحنى
ابشر بنا اننا
نغفو على حبنا
يــا ربنا
كنت عطاء لنا
نعب منك الشذا
من نورك المرتجى
يــا ربنا

ترنو لنا آملا
عيناك في عيننا
ينساب في قلبنا
لحن تهادى سنا
يــا ربنا

انت الرجا والمنى
انت « الهوا والانا ! »
انت جميع الدنى
روح علا
وانتشى
في غيبة
فاكشف لنا علنا
نرعوي عن غينا
يــا ربنا

هلي لنا يا سماء
نورا سرى في المقل
نحن الرؤى والخيال
نشدو على رسلنا
في النجم في هدينا
ماذا يقول الهوى
والحب في دربنا
لم نحن في حلمنا
وحدنــا ؟
يــا ربنا
اثلك لنا ... اننا
نعطيك ما اعطيتنا !

البارودي ونهضة الشعر الحديث

بقلم محمد خير الحلواني

يسند الباحثون المحدثون زعامة الشعر الحديث الى الشاعر الكبير محمود سامي البارودي ، وهم لا يكتفون بذلك ، ولا يرتضون له هذه المرتبة الرفيعة ، ولكنهم يضيفون اليه امرا اخر ، هو انه خالق هذا التيار الجديد من الشعر الحديث ، واول من انتقل به من الجمود الى الحيوية ، ومن الركة الى الرصانة ، ومن التكلف والصنعة الى الطبع والسليقة .

والواقع ان البارودي ليس الرائد الاول في هذه الحلبة ، ولا هو اول من ثبت دعائم النهضة الشعرية ، واقام لها الصرح المتين ، بل كان واحدا من جمع غفير من الشعراء ، نظروا في اشعار العرب القدماء ، وتركوا بعض ما كان يقوم به اصحاب عصور الانحطاط من زخرف ينم عن جمود ، ووشي يشير الى تكلف ، وشعر لا يعبر عن عاطفة ولا يصدر عن وجدان .

ولكن هذا لا ينفي ان يكون البارودي اقوى هؤلاء الشعراء فقد كان جزل اللفظ حتى ليخيل اليك عند قراءته انه فحل من فحول الشعراء العباسيين ، وعلة هذه الجزالة عنده ان الموضوعات التي كان ينظم فيها شعره يدور اغلبها حول الفخر ووصف المعارك ، او حول المديح والرثاء ، وهذه كلها تحمل على الرصانة فى التعبير ، والقوة في اللفظ ، ونستطيع ان نلتمس ذلك عند شعرائنا القدامى ، فبشار رقيق في غزله الحضري، ولكنه رصين قوي في مدائحه وفخره ، وكذلك نرى ابا نواس يرق في خمرياته وغزله ويقوي اسلوبه في مدائحه للرشيد وللامين وللخصيب ، والبحتري على رقته ونعومة موسيقاه نجده متين الديباجة في وصفه للذئب وفي « عينيته » المعروفة التي قالها في المتوكل بشأن اقامة الصلح بين بطون تغلب المتحاربة .

ولكن للبارودي مزية لعلها هي التي حملت الناس على ان ينسوا من جاء قبله من الشعراء ، هي هذه الشخصية العنيفة القوية التي تظهر لك في شعره حين يرثي ، وحين يشكو النفي ، وحين يفخر ، وحين يصف القتال ، فهذا هو يقول من قصيدة له في المنفى يتشوق الى وطنه مصر :

منازل كنت فيها في بلهينة ... ممتعا بين غلماني واتباعي
فاليوم اصبحت لا سهمي بذي صرد ... اذا رميت ولا سيفي بقطاع

فهذان بيتان يبديان شخصية عاتية ، ذات امارة وذات سلطان ، ونحن لا نبصر حرقة القلب ولوعة الصدر في معرض الاشتياق ، ولكننا نرى اميرا عظيما كان له غلمان يقومون بين يديه، ومريدون يلتفون حوله ، ثم بدله الدهر بذلك كله ، فحرمه العز ، وافقده السلطان ، وسلب منه القوة والامارة .

شيء اخر لعله حمل المحدثين على الاطناب في مديح البارودي ، والثناء عليه ، فقد كان الشاعر عظيم المكانة في مصر : وزيرا فى الحكومة ، وقائدا كبيرا في ثورة عرابي وله مريدون واتباع — كما قال — وهذه الخصيصة تذكرنا بموقف النقاد القدامى من شعر ابي فراس الحمداني ، فقد رفعوا منه ، ونسوا غيره ، مع ان الناظر في شعر ابي فراس لا يجد له ممدحة يمدحه بها ، سوى بعض « الروميات » التي لا ترتفع الى مستوى الشعر العالي الرفيع ، والتي لا تزيد عما كان يقوله معاصروه الذين ضاع ذكرهم من امثال شاعر الطبيعة الكبير الصنوبري ، والشاعر كشاجم وغيرهما ممن كانوا يزخر بهم بلاط سيف الدولة .

والاستاذ عباس محمود العقاد اكثر هؤلاء الباحثين اعتدالا ، واعمقهم بحثا ، فهو وان اسند امامة الشعراء للبارودي ، وعده « صاحب الفضل الاول في تجديد اسلوب الشعر ، وانقاذه من الصناعة والتكلف العقيم » الا انه شغل صفحتين من كتابه ليبين « ان احدا منهم (ادباء الجيل الماضي) لم يكن ليستغني عن تمهيد من قبله ، ودرجات من سبقوه » ولكنه يعود ليقول : « وعلى الرغم من هذا التمهيد الذي كان ضروريا لازما قبل نبوغ البارودي ، نقول ان وثبة هذا الامام القدير توشك ان تنسينا ما تقدمها من التدرج والتمهيد لظهورها ، كالمفاجأة المتوحدة في افق ذلك الجيل (١) » .

ثم جاء الاستاذ عمر الدسوقي فاستند الى افكار العقاد ، ولكنه اطنب وغالى ، وجعل البارودي باعث الشعر من كبوته ، ومقيله من عثرته ، وجعل نهضته خالية من تمهيد ، ضعيفا كان ام قويا ، فكأن هذه النهضة عصا سحرية — كما يقول — قلبت الميت ، والضعيف قويا ، والمعدم ثريا ثم « حسب البارودي فخرا انه احيا الشعر بعد موته ، على غير مثال سبق من معاصريه (٢) » .

فهل هذا صحيح ؟ وهل هو حق ينطبق على البارودي وشعره ؟ .. الواقع اني اوافق الاستاذ العقاد على ان البارودي كان امام شعراء عصره ، ولكني لا اقبل ان يكون « صاحب الفضل الاول في تجديد اسلوب الشعر ، وانقاذه .. » لان من جاء قبل البارودي كانوا قد اتجهوا بالديباجة الشعرية نحو الجزالة ، وخطوا بها خطوات لا يستطيع احد ان ينكرها عليهم ، فقد كان ناصيف اليازجي في لبنان ، وصفوت الساعاتي في مصر ، مثالا لذلك الاتجاه الذي نما قبل البارودي ، وظل بعده .

والشيء الذي لا يقبل الرد ، انه قامت نزعة قبل عصر البارودي تنحو منحى القدماء ، وترد على الشعر العربي

---

(١) انظر كتابه : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ـ الطبعة الثانية ـ ص ١٢ ، وص ١٢٤ .

(٢) انظر كتابه : في الادب الحديث . الجزء الاول . ص ١٤٥ و ص ٢٠٦ .

حلته القوية الجزلة ، وقد خاض هذا الغمار عدد كبير من الشعراء ، منهم اليازجي والساعاتي والبارودي وعبد المطلب وتوفيق البكري وحافظ ابراهيم وعلي الجارم ، ولا تزال رواسب قوية في ايامنا هذه ، تتمثل في بدوي الجبل ، والجواهري ، وعزيز اباظه وشفيق جبري ، على الرغم من الهزات العنيفة التي قامت بها مدرسة العقاد النقدية في مصر ، ومدارس الشعر الحديث في هذه الايام .

وقد وجدت هذه النزعة قبل البارودي كما تقدم وظلت بعده ، ويكفي ان تنظر في شعر محمود صفوت الساعاتي الذي سبق البارودي بثلاث عشرة سنة ، ثم مات والبارودي في الثانية والاربعين ، وان تنظر في شعر ناصيف اليازجي الذي سبق الشاعرين كليهما ، حتى تجد ان صناعة الديباجة عادت تحكي امثالها عند المتنبي وابي تمام والبحتري وغيرهم ، فهذا هو الساعاتي يمدح ابن عون الذي غزا بني سليم في الجزيرة ، بقوله :

واضرمتم النيران فيهم واضرموا   لهم نار حرب مثل نار الحباحب
كررتم على اهل الجبال بمثلها   جبال رجال سيرت بالركائب
وما ثبتوا الا قليلا وزلزلوا   وابطالكم ما بين ضار وضارب
رأوا باترات البيض تغمد فيهم   وتخرج من اصلابهم والترائب
نملوا ومالوا للهزيمة بعدها   وملتم على ارواحهم ميل ناهب

ولليازجي قوالب رصينة ، والفاظ جزلة ، تبدو في هذه الابيات التي يرثي بها المعلم مارون النقاش :

من بعده صار صوت النوح يطربنا   وجدا وتزعجنا الاوتار والنغم
كانه من قلوب الناس مقتطع   فكل قلب به من فقده الم
قد كنت اشكو بعاد الدار من قدم   فحبذا اليوم ذاك البعد والقدم

ذلك شعر تقليدي ولكنه رصين قوي ، واذا كانت ابيات اليازجي دون قوة ابيات الساعاتي ، فلان الرثاء لا تلائمه الفاظ الحماسة ووصف المعارك من خلال المديح كما نرى في القطعة الاولى . ومهما يكن من شيء فان الساعاتي واليازجي ارهاص وتنبؤ بظهور البارودي العظيم .

ويرجع وجود هذه النزعة عند البارودي وعند غيره من شعراء العصر الماضي ، الى عنايتهم بدراسة اساليب العربية صافية ، واهتمامهم بهيئات تراكيبها ، وندر ان تجد بعد البارودي « بين مشاهير الشعراء من درس العروض وقواعد البلاغة دراسة من سلف من اولئك الشعراء العروضيين » كما يقول العقاد ، وتلك ظاهرة لا يذهب بفضلها البارودي وحده ، بل يشركه فيها كثير من الشعراء

والواقع انه لا يعقل ان يكون عبد المطلب وتوفيق البكري اللذان جاءا بعد البارودي قد تأثراه ونهجا نهجه ، وان هذه القصائد البدوية التي نعرفها لهما انما كانت من طريق ذلك التأثر والتقليد ، ولكنهما دليل واضح على هذه النزعة التي ذكرتها فيما تقدم ، فلا ادل على قيامها في نفوس الشعراء في تلك الايام من ان شاعرا كتوفيق البكري يجنح الى التعبير البدوي الصلب ، على الرغم من نشأته في بيئة مترفة في القاهرة نفسها ، وعلى الرغم من انه لمس نعومة الحضارة في اوروبا المتمدنة . كما كان الشيخ محمد عبد المطلب صاحب عناية في تقويم شعره ، وطبعه بطابع القوة والفخامة لا يقل في ذلك عن شعراء العرب الاقدمين حتى انك لو قرات له شعرا دون ان تعرف انه له ، لنسبته الى شاعر عباسي او اموي ، بل قد تنسبه الى شاعر جاهلي ، لما يطالعك فيه من خيال بدوي ، ولفظ جزل ، ومعنى قديم ، وقد يكون عبد المطلب شاعرا غريبا عن عصره لا يوائم النمو الحضاري ، ولا يجانس بيئة مصر في تلك الايام ، ولكنها النزعة الى اعادة الصياغة القديمة ، والميل الى تقليد القدماء .

ومثله في ذلك البارودي فهو قد ادمن قراءة الشعر القديم في بيئته الازهرية ، واطلع على ما اطلع عليه البارودي من اشعار القدماء ، ولهذا جاءته القوة والصلابة عفوية لا مفتعلة ، حتى انك لا تحس عنده باثار الكلفة ، ولا بعلامات الافتعال والتعمل ، فهو يحاكي القدماء محاكاة عفوية ، ويفخر بهذا حيث يقول :

دان القريض لنا فاما روضه   فجنى ، واما صعبه فذليل
ولنا اذا شئنا جزالة جرول   واذا رق فتوبة وجميل

فهو يفخر بانه يقلد الحطيئة في الجزالة ، وجميل بثينة وتوبة بن الحمير في الرقة والعذوبة ، واذا كان عبد المطلب وتوفيق البكري يميلان الى محاكاة الجاهليين ، وكان البارودي اكثر ميلا الى محاكاة العباسيين ، فان هذا لا يدفع ان يكون الشعراء الثلاثة من قافلة واحدة ، تنهل مناهل القدماء ، وتستطيب الرحيل الى ظلال جنانهم ، ووهاد ديارهم .

ثم ان هذه « المعارضات » الكثيرة التي تلمحها عند شعراء القرن الماضي واوائل القرن الحالي ، تنبي عن نزعة التقليد هذه بشكل لا يقبل الرد او الشك ، فهي تجعل الشاعر الجديد يعيش في جو الشاعر القديم ، يتأثره في الوزن ، ويتأثره في الروي ، ويتأثره كذلك في الموضوع العام ، والافكار الجزئية ، وتجعله يطير في سمائه ، فيبلغها آنا ، ويخفق آنا اخر ، وربما سما عليها ، وحلق فوقها كما نرى عند شوقي والبارودي في كثير من معارضاتهما .

ويتبين من هذا ان البارودي لم يكن اول من راد للشعراء المحدثين ، ولا اول من جدد هيكل الشعر الحديث وبناءه ، فاذا كان قائد ثورة ، وزعيم حركة في السياسة فانه لم يكن في عالم الشعر صاحب ثورة تذكر بثورة ابي نواس على هندسة القصيدة العربية ، بل اكثر ما قام به الرجل انه شارك في اعادة الصياغة القديمة الى جوهرها الصافي ، ورصانتها اللفظية ، فهو مقلد كغيره من شعراء عصره ومن سبقه ومن جاء بعده ، ولا يتميز منهم الا بأنه كان اقواهم متنا ، واصلبهم عودا ، واشدهم قناة .

اما اذا كان يعتقد بعض الباحثين ان ظهور البارودي آذن بضمور الزخارف اللفظية الشكلية من جناس وطباق وتورية وترشيح ، فان الواقع ينكره ويدفعه ، ذلك لان البارودي نفسه لم يتخلص نهائيا من هذا كله ، فقد استعمل

تذكار امسية

تذكار امسية بعيده
يلتف في نفسي الوحيده
ويد من المجهول ،
باردة تزيح عن الفؤاد
اطباق ثلج .. او ستارا من رماد
تذكار امسية ،
وروحي كالسجين
في غرفة سوداء .. والليل الحزين
في الشارع الخالي .. واوراق الخريف
الريح تنثرهـا على وجـه الرصيف
تذكار امسية ،
ويشهق كوكبان
عينان خضراوان ..
والماضي تثاءب في حنان
عيناك ، واعتصر الجليد
قلبي .. وغمغم في جراحاتي الصديد
تذكار ،
والماضي دموع
في قاع روحي .. واكتساح في الضلوع
كالقشعريرة .. كالصقيع
ويد تشير الى مروج من رماد

مر الزمان .. والف امسية ستقبرها الظلال
مر الزمان ،
ومـا التقينا يا ظلال
اأظل ابكي في الظلام
واضم احزاني الى كبدي المضام
وازيح اطباق الغبار
عن قبر حبي .. او « اقبل ذا الجدار »
اأظل ابكي يا ليالي
واهيم في سود الظلال
والحب مـات
كالطفلة العمياء في بعض الدروب المظلمات
الحب مات ..
والريح في نفسي تنوح
وتظل تحفر بعض عمياء الجروح
تذكار امسية ،
واغنية تولول في الظلام
ونباح كلب في الازقة .. والدموع
يغسلن احزاني كامطار الربيع

العراق ـ العماره — حسب الشيخ جعفر

بعضه واخذ به ، كما ان معاصريه لم يهذبوا شعرهـم من اوشاب الزخارف والاشكال اللفظية .

والحق انه لا يستطيع رجل واحد مهما يؤت من البراعة والحذق ان يغير الادب كله ، او ينتقل به من هوة الضعف السحيقة الى ذروة القوة السامقة ، والبارودي على عظم مكانته في الشعر ، وخصب قريحته في النظم ، كان احد هؤلاء الرواد الذين بدأوا ينحون نحو القدماء ، ولم يكـن موجدا لركبهم ، او رائدا اهم ، بل كان واحدا منهم يسير بين الركبان ، ثم ما لبث ان برزت فيه سمات الزعامـة وعلامة التفوق ، فارتفعت مكانته ، وعلت منزلته ، فتبوأ رئاسة الركب ، ومنصب توجيهه .

والخلاف بين الابحاث القديمة وبين هذا البحث ، انها تقيم من البارودي خالقا لنوع من الشعر ما عرفه الشعراء منذ عصور الانحطاط حتى زمن الشاعر ، على غرار مـا رأينا عند الاستاذ عمر الدسوقي ، كما تجعل ظهور الجزالة على ايدي عبد المطلب والبكري وشوقي وحافظ وامثالهم ضربا من التقليد للبارودي ، ولولا هو لما وجد ولا كان ، اما هذا البحث فيعتقد خلاف ذلك ، يعتقد انه كان ثمة اتجاه عام نحو الجزالة وتقليد القدماء ، وقد سار على هذا النهج جمع من الشعراء دون ان يتخلصوا من رواسب الصناعة اللفظية ، ولم يكونوا متساوين في قرائحهم وقواهم الشعرية وفى عالمهم الوجداني ، فمنهم الرقيق النفس والديباجة معا كاسماعيل صبري ، ومنهم القوي الصلب فـي نفسـه وديباجته معا كالبارودي .

ونحن لا نبخس الشاعر حقه في هذا البحث ، بـل نرد اليه شاعريته الحقة ، ومكانته الصحيحة ، ونحفظ عليـه عبقريته التي بزت اقرانه ، وفاقت انداده ، ذلك لانه قـام في زمن اخذت فيه الجزالة تمد رأسها من جديد ، لعلها تجد لها حياة جديدة بعد ان اخذ منها البلى ، ونال منها الركود ، وهو لم يكتف بان يكون احد هؤلاء الدعاة الذيـن لبوا نداءها واستقبلوها بالحب والايثار ، بل كان اوفرهم في ذلك حظا ، واكثرهم فيه نصيبا .

حلب — محمد خير الحلواني

... ويغص السؤال

بقلم جان الكسان
من جمعية الادباء العرب

أبدا تظل الرؤى، رؤى دنيانا تلك التي عشناها معا، ماثلة كلوحات ضبابية في ايامي، بعناد، وباستمرار لا يقهر .. وعندما ينام الناس ،وياخذ الكرى بمعاقد الاجفان ، تتضح امامي معالم هذه اللوحات الضبابية ، ويشع منها الق يخنق اعصاب عيني بقـوة كبيرة ، فانداح في الدوامة ، ويغص السؤال في اعماقي : ترى .. هـل كان يجب ان نفترق ؟ .

يا حبيبة ..

انت لم تري بلدتي الصغيرة التي ترتاح خاملة قرب نهر الخابور .. في بلدتي تلك يحب الناس بعواطف صادقة صافية ..لم يلونهم رياء المدن الكبيرة بعد .. هل تذكرين حكاية الفراشة التي احترقت في اول الربيع ؟ حكاية « نهيدة » التي احبت « حسين » ، فلما ابعد عنها صبت على جسدهـا صفيحة زيت الكاز واحرقت نفسها ؟ لم تكن نهيدة مجنونة .. كانت تعيش لحب كبير ، وعندما فقدته ، ادركت انها فقدت معنى الحياة ، فاحرقت نفسها ..

الف حكاية رويتها لك عن بلدتي التي جئت اليك منها تاركـا فيهـا اشياء كثيرة غالية : مقهى ابي سعيد الذي كان يحتضنني بدفء فـي اماسي الشتاء .. والدي العجوز الذي كان يحرس البلدة عندما ينام الناس .. اخي الصغير الذي كـان يصطاد في اليوم الواحد اكثر من عشرة عصافير .. شلة الاصدقاء وندمـاء المقهـى .. والشباك الاخضر يـا حبيبة .. شباك ربيعي جميل ، دفنت خلفه حكاية حبي التي احدثك عنهـا حتى اليوم ..

وجئت الى مدينتـك الكبيرة .. قالوا لي انها تبتلع كل شـيء .. وقد ابتلعت مني كل شيء ، الا هذا الفراغ الهائل البارد الذي اعيشه .. قد لا تستطيعين ان تقدري مدى قسـوة الاصداء الممزقة التي تنوح في قلبي وتاكل اعصابي بوحشية ونزق .. كل شباك اخضر في مدينتك الوسيعة يدفع الى سياحة شعوري بغمامـة كبيرة ، ولكنني خنقت الماضـي .. دفنته خلف شباك اخـر اخضر .. وشاء حظي ان يكون هذا الشبـاك في بيتك الذي يربض باعتداد فـي شارع جميل مـن هـذه المدينة ، مدينتك يا حبيبة ..

لم اشأ ان اقول لك انني بحاجـة الى دفء جديد ، فقد عز علي كثيرا ان استجدي الحب .. كنت بحاجة الى امراة .. الى انسان ، تفرقني في عينيها اسطورة ربيعية كتلك التي عشتها خلف شباك اخضر في بلدتي .

وكنت رائعة يا حبيبة .. انسانة بسيطة ، طيبة ، جميلة ، تحب الاطفال اغلى أمنية تعيشين من اجلها ! الم نتشاجر تلك المشاجرة اللطيفة حول نوع الزهور التي سنضعها على مائدة الطعام ؟ . اكثر من هذا ، الم نتفـق حتى على اسماء اطفالنا في المستقبل ؟ في الدرب الذي ينتهي عند دارك وفي الاماسي الدافئة ، كنا نسير ،ونتحدث عن الحب والانتخابات وافلام السينما وعن بيتنا واطفالنا واطفال بلدتـي الفقراء ذوي الثياب الرقة ..

وقلت لي انذاك : لـن يكون اطفالنا مثل هؤلاء ..

فاجبتك : ولكن والدهم فقير .. هل نسيت انني ....

فقاطعت جملتي وانت تشديـن على يدي بعتاب حلو وتقولين بلهجتك الشامية : اي .. بلا حكي .. بدنـا نجيب بنت وولدين .. بوران ونضال وعماد ..

وتمضين في الحديث عن البرنامج الذي رسمتيه لتربية اطفالنا .. قلت اننا سنحبهم كثيرا ..

فاجيبك : سأحبهم كثيرا ..

فتسألين : أكثر مني ؟ ..

واقول : لا .. لن احب انسانا اكثر مما احببتك ..

ونضحك معا . . بسعادة واضغط اصابعك بين يدي، وامد يدي فأشدك الى كتفي بقوة ، بحنان ، بحب كبير . ثم نفترق ، فتصعدين انت الى بيتك واسير انا الى موقف الباص حيث انزوي في مقعد خلفي منه ، احـدق في زجاج النافذة وارسم بخيالـي صورة رائعة لحياتي معك ، مـع عروستي الحلوة التي تحتضن بين يديها عرسا من بهجة الحياة ..

ورحل الربيع ..

وبدا حبنا يتهيأ معه للرحيل .. كان كالسعادة التي ترتعش لتمـوت سريعا .. ولد مع اول برعم ثم ولـى مع الربيع .. هل اروي لك فصـل الفراق ؟ . هل رايت انسانا يضفـر اكليلا من الورد لجنازته ؟ . انهـا المأساة القديمة يا حبيبة .. مأسـاة صراعنا الكافر من اجل الرغيـف وتقرأ الصحف وتحفظ الود الكبير .. وضحك الربيع ، وعشنا معا فـي دوامته الدافئة لاهين عن ذكريـات الماضي وهموم الدنيا التي لا تنتهي..

لم اعد انتظر الليل لادخل احب المشارب التي تسهر على ضفة بردى حتى الفجر ، ليقذفنا ــ السكارى وانا ــ من جوفه، كدود طفيلي ، الى الشوارع الخالية .

ومرت ايامنا رائعـة سعيدة .. وكتبت لك قصائدي ، كل يوم واحدة حتى اضحت لديك كدسة تروي لك حكاية حب كبير وربيع لا يرحل لا اصدق الان ان كـل ما كان بيننـا انتهى ببساطة .. الم نقطع الـف عهـد على ان نعيش معا في بيت جميل هادىء ؟ الم تقولي لي ان ذلك



الصخرة الضبابية

وجـه مدمـى ، وفـم ساخن :
« انا .. » وممرح : ذرى ، وانهمار
شـيء ضبـابـي ينـادي وراء
الف سـد مـن ثمـار غـزار
افتح اعماقي لـه ... وهي لـم
تكشف تلالا وشموسا حـرار
واجمـع اللهفة مـن كل جسمي
لاصوغهـا نـدى وانتصـار

من يـا ترى تكون ؟ مـن يا ترى ؟
فترتوي فـي ساعدي القفار ! !
اسأل خيطـا مـن عبير يحـاك
عقـدة .. جمجمة .. انتحار
اسأل صخـرة علـى كفهـا
ماردة ومـارد .. وانتظـار
اسأل قعـرا خمرته الـرؤى
شكلا عميقـا مـا له من قـرار
سبرت امسي ، كان امسي قبابا ..
وعراها بعـد فخـر صغـار :
اكنت اهوى الموت ، اهوى التـي
فـي حبهـا خبأت ذاك العثار ؟
حتى اذا صحـا فؤادي صحت
تلملم الجـرح وتنعـى الفخـار
والان ، عبر البحر طر يـا انتظار
مـا زال في كفي بعـض الشرار !!

وجـه مدمـى ، وفـم ساخـن :
« انا .. » وممرح : ذرى ، وانهمار

حلـب
علـي الزيبـق

الابيض والبيت الهاديء والمستقبـل السعيد ..

الشيء القاسي انني لم انجح فـي هذا الصراع .. وافترقنا .. وظلت عندك قصائدي غافية في حرمان .. قد تتساءلين لماذا اكتب اليك وقـد مضى على فراقنا سنوات .. قالوا لي انك احرقت قصائدي .. احقا يا حبيبة ؟ . قولي انهم يكذبون ..ان اشياء كثيرة غالية اتنازل عنها فـي سبيل ان تقولي لي : لا تصدق الناس فقصائدك لم تحرق ..

باعصابي كتبت اليك يا حبيبة .. صلبت لك كياني كله على الورق .. رويت لك حكاية كل نبضة بقلبي .. ترجمتها باخلاص .. وفرشت لـك اكثر من درب يعبق بالحنان الكبير ..

امامي الان مغلف كبير ، ابيض .. فيه رسالة مكتوبة بقلم اسود ..شيء منك ، يعيش في حياتي باستمرار لا ينتهي .. لـم احرق رسالتك يـا حبيبة .. وانا رجل .. فهل كنـت اقوى مني عندما حرقت قصائدي ..

لا اصدق هذا يا غالية .. ما قرات يوما في عينيك اصالة مجرمة.. كان ربيع طفل يضحك فيهما دائما بجذل وحب ، ووداعة .. قرات مرة فـي كتاب ان (شوبان) الذي كنت تحبين مقطوعته (فالس الوداع) جمـع رسائل حبيبته في مغلف واحد وجد فيما بعد بين مخلفاته وعليه مكتوبة كلمة واحدة : (تعاستي) .. كانـت هذه الرسائل التي بعثت اليه بهـا الانسانة التي احبها وفرقت بينهما الظروف القاسية شيئا اتعسه .. ومـع ذلك احتفظ بها . .لم يمزق حتى تعاسته ..

.. وابدا تظل الرؤى ، رؤى دنيا التي عشناها معا ، ماثلة كلوحـات ضبابية في ايامي ، بعناد ، وباستمرار لا يقهر .. وعندما ينام النـاس ، ويأخذ الكرى بمعاقد الاجفان ، تتضح امامي معالم هذه اللوحات الضبابية، ويشع منها الق يخنق اعصاب عينـي بقوة كبيرة ، فانداح في الدوامـة ، ويغص السؤال في اعماقي : ترى .. هل كان يجب ان نفترق ؟ .

دمشق
جان الكسان

امثال اللبنانيين في الحيوانات

بقلم شفيق طباره

الاســد

الاسد او السبع حيوان انقرض في لبنان ولم يعد له ذكر الا في امثال اللبنانيين وقد ورد اسمه في السير المقدسة ونقرا في التوراة ان شمشوم صرع شبل اسد فشقه بيديه كشق الجدي (سفر القضاة ص ١٤ : ٥و٦) وان دانيال النبي طرح بامر الملك في جب الاسود ولم يصبه اذى (سفر دانيال ص ٦ : ١٦) .

واطلقت العرب اسماء كثيرة على الاسد وقيل انها بلغت المئة اسما . وكان الاسد شعار احمد بن طولون وشعار الظاهر بيبرس واتخذ الاسد مثال القوة وعد ملك الوحوش . وقد استعارت العامة اسمه في امثالها فقالوا (سبع) للرجل القوي الشجاع . و (حليب سباع) اي العرق وهو شراب اللبنانيين المفضل ويستخرج من عصير العنب وهو اذا مزج بالماء يصبح لونه ابيضا كالحليب . وانما سمي بحليب السباع للنشاط الذي يشعر به شاربه اذا اخذ قليلا منه . وقريب من هذا قول الفرنسيين (الخمر حليب الشيوخ) لاعتقادهم انه يفيد الشيوخ كفائدة الحليب للاطفال ...

ويقولون (سبع البرنبو) ويضرب للسخر ممن يدعي الشجاعة وهو جبان . وقريب من هذا قولهم (سبع الليل بذنب) ويعنون بذلك الفارة ويضرب تهكما للجبان ولمن عرف بسرعة الخوف والذعر ويقولون (انت سبع اهلك) أي انت رئيسهم و (بيت السبع ما بيخلى من عظام) يقال للرجل الغني القادر لا يعدم مالا وقدرة . وقديما قالت العرب (بيت السكاف فيه من كل جلد رقعة) رواه الميداني . و (ذنب سبع ولا راس كلب) ويعني المثل خير للمرء أن يسير في ركاب قوم وجهاء من ان يكون رئيسا على الاذناب وهذا المثل يذكرنا بقول يوليوس قيصر (الاول في القرية ولا الثاني في روميا) وتقول العامة (الاول بالحازمية ولا الثاني بروميه) ويقولون (ما كل من له ضفير صار سبع) يعني لا تفتر بالظواهر و (بقلب السبع ولا بقلب بني آدم) وتأتي كلمة القلب ههنا بمعنى المعدة وكثيرا ما تقول العامة (قلبي بيوجعني) لتدل على المعدة . ويضرب المثل في الغدر ونكران الجميل ويقصدون بذلك ان تثق بحيوان مفترس خير من ان تثق بابن آدم لان الوحوش تقتل في سبيل القوت اما ابناء آدم فيفتكون بأبناء جلدتهم من اجل كل شيء . وقريب من هذا قولهم (ربي جرو كلب ولا تربي بني آدم) وذلك لان الناس غالبا ما يبادلون المعروف بالاساءة . وقديما قال الرومان في امثالهم (الرجل ذئب على الرجل) (1)

ويقولون (اللي بيقتل السبع بياكله واللي بيقتله السبع بياكله) اي لا تقبل الضيم وارم من رماك ومثله قولهم (اللي بيعمل حالو كماج بيصير كماج واللي بيعمل حالو زبالة بتنقوروا الدجاج) الكماج العجين بتنقوروا اي تنقده وقالت العرب في هذا المعنى (من لم يكن ذئبا اكلته الذئاب) و (من جعل نفسه عظما اكلته الكلاب) و (من طلي نفسه بالنخالة اكلته البقر) رواهما الميداني .

ويقولون (كلبان بيغلبوا سبع) ويضرب للتحذير من عدد الاعداء حتى ولو كانوا ضعفاء لان كثيرا ما تتفوق الكثرة على القوة . ومثله قولهم (الكثرة غلبت الشجاعة) و (ضعيفان يغلبان قويا) وقريب من هذا قولهم (كلب فالت خير من سبع مربوط) و (نملة بتمشي خير من جمل اعرج) و (شيطان مهندر خير من كديش طخين) المهندر النشط والطخين السمين وتأتي هنا بمعنى الثقيل

ويقولون (القرش في فم السبع ما بياكله غير السبع) اي لا ينال الغنى ولا ينعم بالمجد والسؤود الا الشجاع المقدام و (اذا نجوت من السبع لا تطمع بصيده) اي جدير بالمرء ان لا يعرض نفسه للشر بعد ان نجا منه و (يأكلها السبع ولا يأكلها الضبع) ومعناه اشرف للجدي مثلا ان يأكله ملك الوحوش من ان يقع فريسة لحيوان عادي والضبع احمق الحيوانات . ومن حكايات اللبنانيين ان احد المحامين ذهب الى مدينة زحلة واتخذ له مكتبا لمعاطاة مهنته يعلق رسمه على الحائط بلباس المحاماة فدخل عليه احد السكافين ودون ان يناديه بلقبه قال : مرحبا يا هو ! فاجابه المحامي : اسمي الاستاذ فلان وليس يا هو .. واضاف قائلا بعصبية : والان قل لي ماذا تريد ؟ فكظم الزحلاوي غيظه وقال : لي جار اشترى من محلي صرماية (مداس) ويريد ان يأكلها ولا يريد ان يدفع ثمنها . وانا لست آسف على قيمتها وانما لا احب أن يهضم حقوقي احد . فحصلها انت يا استاذ وكلها صحتين على قلبك ، يأكلها السبع ولا يأكلها الضبع ..

ويقولون (باول الليل سبع وباخر الليل ضبع) ويضرب لمن يتحمس في باديء الامر ثم يتراخى في النهاية والضبع احمق الحيوانات . ويقولون (كلهم غابوا وما جابو الا السبع غاب وجاب) ويضرب لمن يرجع موفقا وامتاز عن الذين عادوا خائبين .

الماعـز

كان الماعز الى عهد قريب اكثر الحيوانات الاهلية في لبنان ولكنه بدا يقل عن ذي قبل لقلة المرعى واهمال تربيته

---

homo homini lupus

واستهلاكه للذبح للحد من موجة غلاء اللحوم . وقد استعارت العامة اسمه في امثالها فقالت (العنزة الجربانة ما بتشرب الا من راس العين) ويضرب للحقير يعظم نفسه من غير استحقاق وهذا مثل قولهم (عورا وقرعا ومـا بتنام الا بالنص) اي في منتصف السرير ويضرب للمراة الحقيرة تضع نفسها حيث لا تستأهل . ويقولون (مثل ما بتعمل العنزة بالعليق العليق بيعمل بصوفها) العليق نبت يتعلق بالشجر والجبلي منه كثير الشوك ومعنى المثل ان الجزاء يجب ان يكون من جنس العمل. وهذا مثل قولهم (مثل ما بطبلي بزمرلك) ويقولون (تيس) للجاهل المغفل و (العنزة الجربانة) كناية على المراة الكريهة القبيحة المنظر و (جدي بيلعب على تيس) ويضرب للرجل اذا تحاذق على من هـو احذق منه و (بقول لك تيس بتقول لي احلبوا) ويضرب للجاهل المغفل يجيب عكس ما يطلب منه و (بأتي التيوس رزقهم بسهولة) و (اهل الفصاحة مبخوسين) مبخوسين اي محرومين ويضرب في المال يملكه من لا يستأهله ولمن ينال خيره بسهولة من غير تعب و (شوف العنزة واشرب من حليبها) اي قبل الاقدام على عمل يجب ان تنظر في عواقبه و (غير مرعاك بتسمن معزاك) ويضرب في السعي والهجرة وابتغاء الرزق والنجاح وفي القرآن الكريـم (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وفي الحديث (سافروا تصحوا وترزقوا) وقالت العرب (اترك بلادك تبلغ مرادك) وقال الشاعر :

تغرب عـن الاوطان في طلب العلا — وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفريـج هـم واكتساب معيشة — وعلم واداب وصحبـة ماجد

ويقولون (كل عنزة معلقة بكرعوبها) اي ان الجزاء من جنس العمل . وقالت العرب (كل شاة برجلها معلقة) و (كما تزرع تحصد) رواهما الميداني . ويقولون (عنزة ولو طارت) واصله ان رجلين شاهدا غرابا حط فوق احدى الروابي فصاح احدهما : هذا غراب ! فقال الاخر : هذه عنزة ! وبينما هما يتجادلان في ذلك طار الغراب فالتفت الاول للثاني وقال له : الم اقل لك انه غراب فاجابه الثاني: هذه عنزة ولو طارت . ويضرب المثل لمن يصر على جهله فلا يزجره زجر ناصح . ويقولون (نامت المعزي وقـام البعير يشتر) يشتر اي يرعى ومعنى المثل ان الزعمـاء يستبيحون الرعية اذا غفلت عن حقوقها . ويقولون (نيال اللي له مرقد عنزة في لبنان) ويعود المثل الى زمن كـان اللبنانيون ينعمون في بلادهم بالسلام والطمأنينة في ظل نظام حسدهم عليه الناس وضربوا المثل لمن طاب عيشه في دعة واقامة . ويقولون (روح قلع سنان عنزاتي) روح فعل أمر اي اذهب ويضرب في التهديد وطرد غير المرغوب فيه ، ومثله قولهم (روح بلط البحـر) و (روح اشرب البحر) وقيل ان المثل يعود الى زمن قديم جدا . ويحكى ان كسنتوس احد فلاسفة اليونان شرب ذات يوم حتى سكر فطفق يدعي من سكره ان باستطاعته ان يشرب البحر فاخذ رفاقه يضحكون منه وحلف باغلظ الايمان انـه قادر على ذلك ورهـن بيتا يملكه تأكيدا لزعمه . ولما كان اليوم الثاني صحا من سكره وندم على ما بدر منه وفي الموعد المحدد خرج مع رفاقه الى شاطيء البحر وتبعه اهـل المدينة ليشاهدوا ما عساه يكون من امره بيد ان البديهة سرعان ما اسعفته فوقف بين الجموع وقال : اني راهنتكم على شرب مياه البحر ولكني لم اراهنكم على شرب مياه الانهر التي تصب فيه فعلى خصمي الذي راهنني ان يتقدم ويقطع مياه الانهار عن البحر لاقوم بوعدي .. فسر الجميع لحسن تخلص الفيلسوف من هذه الورطة .

ويقولون (العنزة ضيعت ولادها قال لها الديب : انا لقيتهم ، قالت : وينهم ؟ قال لقيتهم واكلتهم . قالت : يا ليتك لا لقيتهم ولا اكلتهم) وينهم اي اين هم ؟ ويضرب المثل عندما يقع المرء ضحية الاخرين . ويقولون (كل عنزة بتلحق قطيعها) اي كل جنس يتبع جنسه ويضرب للذي يميل الى شكله . و (مال ما هو مـال المعزي والنحـل والجمال) اي ان اقتناء الماعز والنحـل والجمال ليس بالتجارة الرابحة وذلك بسبب ما تتعرض له من الامراض الفاتكة . وقالت العرب : (للمعزي تسعة وتسعـون داء وراعي السوء يوفيها مائة) . رواه الميداني .

ويقولون (المعزي لراعيها والمطحنة للقاعد فيها) ويضرب في اسناد الامور لاهلها و (مثل العنزة بتحلب وبتكب) ويضرب لمن يخدم الغير ويمننهم او يسيء معاملتهم و (سرهم سر المعزي) ويضرب للهزء بمن لا يكتم سرا تشبيها بقطيع الماعز الذي يتنقل فوق الروابي العالية ملء عيون الناس ومثله قولهم (عندهم السر بالمقلاع من قاطع لقاطع) المقلاع آلة ترمى بها الحجارة ويضرب المثل للذين يكشفون احوالهم على الناس على غرار الرعيان الذيـن تعودوا ان ينادوا بعضهم بعضا ويتحدثون من قاطع جبل الى قاطع اخر على مسمع من اهل القرية . ومثله قولهم (بقاقـي مثل الدجاج) قاقت الدجاجة اي صوتت ويضرب المثـل للذي يفعل المعروف ثم يعلنه على الناس . و (اذا اعتنى المعاز بيحلب الفحل) يضرب في الحث على مباشرة الانسان اعماله بنفسه فتنمو وتزيد . وهذا مثل قولهم (اللي بيحضر على ولادة بقرتو بتجيب توم) و (مـا يشد بالبقرة الا صاحبها) واصل المثل فيما يقال ان راعيا سقطت بقرته في حفرة فنادى الرعيان ليساعدوه على انتشالها فاحضروا الحبال ولما هموا بالعمل لم يبذل احدهم جهدا بقدر الجهد الذي بذله صاحبها فذهب قوله مثلا . وهذا مثل قولهم (اللي ما بيشرب من كفه ما بيرتوي) و (اللي ما فيه لحالو بموت) و (الانسان ماله غير باعه ودراعه) و (كل واحد بقلع شوكه بايده) و (اللي ما يمشي على جرياته ما بتنقضي شغلاته) جرياته اي رجليه شغلاته اي اشغاله وقالـت

العرب : (ما حك جلدك مثل ظفرك فتولى انت جميع امرك) رواه الميداني .

ويقولون (متل العنزة البلقا) العنزة البلقاء التي في لونها سواد وبياض ويضرب المثل للشـيء العزيز النادر او المشهور . و (قال : ما سمعنا الساعور بيركب على الفحل قللوا : بلى سنة المحل ركب الجدي على الفحل) الساعور في لغة العوام الجدي وهي ولد المعزى في السنة الاولى . ويضرب لمن ذل بعد العز واصبح يتطاول عليه اللئام . و (جابو الديب تيعلموه القراية . قالولو : الف . قال : عنزة ، قالولو : باء ، قال : جدي) ويضرب لمن لا يفكر الا في حاجة نفسه ويقولون (العنزة مفزورة والديب بالجورة) فزر الشيء اي شقه وكسره وفصله ويضرب المثل في موضع التهمة اي ان المسألة لا تحتاج الى دليل ولا شرح طويل . و (شو قالت العنزة وهي سارحة اليوم مش متل البارحة) ويضرب في تقلب الاحوال وانتقال الثروة . ومن حديث الرعاة ان الماعز عندما تأكل بشراهة وعلى غير عادتها في يوم صحو يستدلون على ان الجو ينذر بسقوط المطر في اليوم الذي يليه ويزعمون ان الماعز تدرك بغريزتها فتمون في معدتها كمية الطعام حصة اليوم المطير .

ويقولون (خمس عنزات شاكورة واربع بقرات باقورة) اي ان خمس عنزات تؤلف شبه قطيع اما الاربع بقرات فقطيع حقيقي . ويضرب المثل للتدليل على اعتماد الجنس لا الكمية . و (شقلت الغنمة ليتها مرة ضحكة العنزة عليها) شقلت اي رفعت وللغنم في لبنان لية ويبلغ في بعض المرات بضعة ارطال بينما للعنزة ذيل قصير ويرى مرفوعـا . ويضرب المثل للذي يحاول ان يتشبه بالاخرين فيعرض نفسه الى هزئهم ويضرب ايضا لمن يخطيء مرارا ويعير غيره اذا اخطأ مرة و (كم كبشا بالمرعى وكم جديا بالمسلخ) اي كثيرا ما يودي الموت بمن هم في سن مبكرة ويعفي المتقدمين بالسن . و (العنزة اذا شح حليبها يوم حل دبحهـا) ويضرب لمن قعد عن طلب المكاسب والمحامد و (العنزة فزرت كرشها ما ضرت الا نفسها) ويضرب لمن جنى على نفسه شرا ولمن يعمل عملا يرجع ضرره اليه

الخيـــل

الخيل عند اللبنانيين منزلة كبيرة فهي في نظرهـم حيوانات نبيلة سخرها القدر لتؤدي الخدمات الجليلة لبني الانسان وهم يحيطونها بكل مظاهر الاجلال . ويعود العصر الذهبي للخيل الى عصر الفروسية حيث كانت مركوب رجال الحرب تقاسمهم اهوال الحروب وتشاطرهم افراحهم ومسراتهم . كذلك قدر العرب الخيل حق قدرها في عصرهم واعتبروها مركوب الشرفاء . فقد جاء في الحديث (الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة) وقالوا (الخيل ظهورها عز وبطونها كنز) و (خير المال مهره مأمورة وسكة مأبورة) مهرة مأمورة اي فرس منتجة والسكة المأبورة اي الارض المعدة للزرع . وكثرت اشعارهم واقوالهم بالخيل واستعملوا اسمها على المجاز للفرسان وركاب الخيل ومنه قوله تعالى (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) اي بفرسانك ورجالك وكنوا بالفرس المراة النبيلة وبالجواد الرجـل البطل الكريم المحتد . وما زال اللبنانيون على سنة ابائهم واجدادهم يعتبرونها مزودة بالفطنة والذكاء .

وكان لابناء الجيل الماضي شغف عظيم باقتناء الخيـل وركوبها فكانوا يعنون بتزيين سروجها بقطـع من الفضة ويحلون رؤوسها بتيجان واكاليل من الريش . وكانـت سروجها خفيفة ضيقة وركاباتها كبيرة ومتسعة ترتاح اليها الارجل وهي عادة من حديد الا الاغنياء فيتخذونها مـن النحاس الاصفر او مذهبة ومفضضـة . ولا يستعملون المهماز . وكانت زحمة السرج قصيرة حسب الذوق والحزام هو عادة من الجلد بعرض اربعة اصابع وكان الاغنياء يزينون شعر خيولهم بخيوط فضية او مذهبة وتتقدم امراؤهم كوكبة من الفرسان اجلالا واحتراما .

وكان في حرج بيروت ميدان يعرف باسم المرمح وموقعه في سهل بئر حسن بضواحي المدينة تقصده افواج محبي الخيل ليتباروا طرادا ورميا بالرماح والجريد على الطريقة العربية القديمة . وقد اشاد لامارتين بالعاب الفروسية وجمال موقع الميدان ووصفه في سنة ١٨٣٣ وصفا بديعا وعده من احسن اماكن الدنيا جاذبية وسحرا .

وقد تاسست في سنة ١٩٢٠ ببيروت شركة سبـاق الخيل للمراهنة وتنشيط نسل الخيل الاصيلة ويملـك مجموع اصحابها (٣٠٠٠) راسا من احسن الجياد فـي العالم وكذلك تأسس في بيروت منذ بضع سنوات ناد لهواة الخيل اطلق عليه اسم نادي الفروسية يتعلم فيه ابناء الاسر المعروفة امتطاء الخيول العربية وما زال اللبنانيون يتبارون في اقتناء اصايل الخيل ويروضونها فـي مهارة ملحوظة فتقوم برقصات ايقاعية في اعراس العامة . ويقام في كل سنة عيد في مدينة حمص بسوريا يسمى خميس المشايخ يؤمه اصحاب الخيول من جميع انحاء سوريا ولبنان ويقوم الخيالة بالعاب ويعرضون مهارة الفرسان ومهـارة جيادهم .

ومن امثال اللبنانيين بالخيل قولهم (راكب حصان) ويضرب لمن يتمتع بمركز منيع و (راكبة حصان) اي امراة في الحيض وزعموا ان هذه العبارة مأخوذة من تشابه لون دم الحيض بدم الخيل و (متل الحصان) اي ممتليء صحة وقوة و (الفرس من خيالها والمرا من رجالها) معنى المثل ان الخدم يكتسبون الكثير من اخلاق مواليهم والمراة مـن اخلاق زوجها حتى الحمار يكتسب الكثير من صفـات صاحبه . وكذلك قولهم (الفرس مـن وراء الفارس) و (الفرس يتروز خيالها والمرا رجالها) و (كل شيء يشبه

قانيه حتى الحمار واللي شاريه) و (كل من على بابه يشابه اصحابه) ويقصدون الخدم الذين من عادتهم ان يقفوا على ابواب دور الوجهاء . ويقولون (معلوف وموقوف متل خيل الدولة) ويضرب في الهزء بمن لا عمل له وقد قرت عينه بعيشه تشبها بخيل دولة بني عثمان فقد كانوا يعنون بها ويعلفونها سنوات طويلة الى ان يحين وقت استخدامها في الحروب . و (مثل خيل الدولة ملحها على ذيالها) وملحه على ذيله عبارة جارية على السنة العامة ويكني بها من لا يفي بعهد الصداقة ويخون اصدقاءه الذين اكل معهم الخبز والملح . و (مثل الحصان الطالع من الخان) ويضرب للنزق السريع الغضب وذلك لان الخيل اذا استراحت مدة من الزمن يصعب على الخيال كبح جماحها بسهولة .

ويقولون (من قلة الخيل شدوا على الكلاب سروج) ويضرب عند اللجوء الى الدنيء الحقير . ويضرب ايضا للذليل رفع فوق قدره وهذا مثل قولهم (من قلة الرجال سموا الديك بو قاسم) ويقولون (لسانك حصانك ان صنته صانك وان خنته خانك) ومعنى المثل : على المرء ان يملك زمام لسانه كما يملك الفارس زمام حصانه فان احسن قياده زلت له الرقاب ونال مراده والا كان اللسان كالجواد الجامح يلقى به في موارد التهلكة وينطلق به الى حيث لا يريد . ويضرب المثل ايضا في مجانبة مقالة السوء وكيلا يجر الى صاحبها شرا و (مثل الرهوان) ويضرب في السرعة والرهوان نوع من الخيل لين الظهر في السير . ويقولون (اشترى المعلف قبل الفرس والرسن قبل الحمار) ويضرب لمن يقتني ما لا يحتاج اليه قبل المهم وقريب من هذا قولهم (ما عنده حصان بنى له ياخور) والياخور الاسطبل . و (راح بين رجلين الخيل) لمن قضى غير مأسوف عليه ومن غير ذنب او ابداء مقاومة . و (كثرة المرعى بيعمي قلب الدابة) ويضرب لمن يكثر ماله فيبطر . و (خيول الدهم كثر لها عليقها وخليها لحزات الليالي) خيول الدهم اي ذات اللون الاسود . وهي خيول يرغب اهل البادية في اقتنائها لاستعمالها في الغزو ومداهمة الاعداء في عتمة الليل .

و (بالسخرة زي المهرة وبشغلي مقطوع الحيل) يضرب لرجل يؤثر قضاء حاجات الاغراب على خدمة ذويه و (الفرس للميدان والبارودة للنيشان) ويضرب عند وكول الامر الى اهله و (ما عمرو قال حزامها رخو) ويضرب للكفؤ لا يلتمس العلل والاعذار أذاهو امتطى الفرس وتأهب للسباق و (ما فى بالميدن غير حديدان) وحديدان اسم اطلق على حصان قيل انه فاز بالسبق في وقت لم يكن احد ينازله في العدو فظل وحده في الحلبة ويضرب المثل للامر يتولاه غير اربابه و (متى ركبت الفرس ابقا هز رجليك) ومعنى المثل لا تفخر على الناس وتجنب الزهو والاعتزاز والمباهاة قبل ان تحظى بالمرام . ويضرب المثل للممتدح بما ليس عنده و (اللي ما عنده عيلة يقني له كحيلة) كحيلة الفرس التي تكون عينها شديدة السواد ومعنى المثل ان اقتناء الخيل يستلزم نفقات باهظة كما لو ان صاحبها ذو عيال ويوضح المثل حب الخيل وتعظيم شأنها حتى جعلت بمقام العيال الذي تجب نفقتهم على الرجل . و (سألوا البغل مين ابوك قال الحصان خالي) ويضرب لمن ينتسب الى اقربائه البعيدين لجاه لهم

و (تهفا وما يردها بليق) اي تذهب من الفصحى هفت الريح بالصوفة اي ذهبت بها وبليق اسم فرس . واصل المثل على ما قيل ان رئيس احدى القبائل كان يملك فرسا سريعة العدو فسرقت من خيمته فتكدر عليها كدرا عظيما فقال له احد اتباعه: أتأذن لي ان اركب في طلب السارق ففرسي بليق قادر على ان يلحقه فقال : تهفا وما يردها بليق فذهب قوله مثلا اي اني افضل ان اخسر فرسي من ان يعيرني الناس بان بليق طلب فرسي فادركها ويضرب المثل في من يستعلي عن الشيء مخافة مقالة السوء .

و (لا تولف المعالف والخيل بالربيع) ولف بلغة العدام اي حضر ويضرب المثل لمن تعجل في امر لم يحن بعد و (كل مين يحش لكديشو) يحش اي يجمع من المرعى والكديش البغل ويضرب المثل للاناني لا يفكر الا بنفسه وفي اتباعه ولا يمد يد المساعدة للاخرين وهذا مثل قولهم (كل مين يشد صوب صدره) ويقولون (فرس الباغية عثور كيف ما مشيت بتنعس وبتخور) ويضرب للغبي لا يدري كيف يتصرف فيعثر ويقع في المأزق .

و (قللو : فدانك عم يضحك قاللو : على ذنب حصانك) واصل المثل ان فارسا مر عشية يوم بضاحية احدى القرى فرأى رجلا في فناء داره وبقربه جلست زوجته الحسناء فاعجبه جمالها وطلب القرى فارتاب القروي في امر هذا الضيف الغريب المجهول . ولما اقبل المساء وخيم الليل افرد له صاحب البيت حجرة ثم اسر الى زوجته ان تنام تحت مخدعها . وفى عتمة الليل نهض الضيف وانسل في وسط الظلام الى مخدع امراة القروي فلم يجدها في فراشها فرجع الى حجرته خائبا . ثم عاد مرة اخرى فلم يجدها ثم طلب من صاحب البيت ان يشعل المصباح فبادر هذا على الفور وهمس فى اذن زوجته ان تصعد فوق المخدع وانار المصباح فشاهد الضيف المراة مستلقية فى فراشها فدهش واخذ يفكر دون ان يفطن الى الحيلة فلما يأس اغتاظ وخرج الى المزرب بخطوات لا يسمع لها صوت فتبعه القروي فشاهده يقطع شفة الفدان فترقب عودته الى حجرته وقام بدوره وقطع ذيل الفرس انتقاما فلما لاح الصباح اراد الرجل الانصراف فركب فرسه والتفت نحو صاحب الدار وقال : ــ فدانك عم يضحك ، فقال القروي : ــ عم يضحك على ذنب حصانك وارسلها مثلا . ويضرب المثل لمن ينطوي على خبث فيقع بيد من هو اخبث منه .

شفيق طباره

امطار شهر كانون

سالت بمقلة موجع تجري ... منهلة من لوعة تفري
وتدفقت تنساب ساكبة ... بجفون ثاكلة على قبر
هطلت وكل غمامة سنحت ... عين تفيض ومقلة تذري
تنهل مغدقة بمنهمر ... كالسيل في مد وفي جزر
او كالعباب جرى بمصطخب ... تياره وانساح عن غمر
نشرت به الريح الهبوب بما ... نسجته رايات من الذعر
في موكب للموج ملتطم ... بجناح نسر حط عن وكر

خطت يد الامطار حين جرت ... فوق الثرى صحفا من الشعر
في كل سطر خط مرقمها ... ضرب من الاعجاز والسحر
وتكاد تلقى القفر من طرب ... يهتز للاعجاز عن بشر
وترى ثغور الروض ناطقة ... بالحمد من جزل ومن شكر
ولرب سطر خط مرقمها ... كفل الحياة لمجدب القفر
صور البيان اذا اردت لها ... حصرا عجزت الدهر عن حصر
واجلها في الصدر ما نشرت ... صورا تفوح بطيب النشر

وترى الغمام بكل مفترق ... للافق جاش بزاخر يجري
اعلامه رفعت محلقة ... وتمايلت بذوائب حمر
والريح تقبضها وتنشرها ... كالثوب في طي وفي نشر
والغيم دوع ضم فارسها ... ازرارها للفتكة البكر
ومضى يصول بكل معترك ... لوقيعة في المأزق الوعر
بعقيقة للبرق ساطعة ... في صفحة الجوزاء كالجمر
برقت بملتهب جوانبها ... خلف الغمام وزغردت تجري

فاضت يد للسحب مغدقة ... فوق الثرى من حيث لا تدري
وتدفقت تجري غواربها ... باللؤلؤ المنثور والدر
جادت فغص بسيب ما وهبت ... قفر كجلمود من الصخر
وانساب زاخرها على عجل ... متلاطما ينداح كالبحر
مزمارها في كل منعطف ... ما كن منقطعا عن الزمر
ان رق خلت نشيج غانية ... حنت لالف لج في الهجر
واذا قسا عصفت مزمجرة ... وتلاطمت بزمازم نكر

ابصرت حين نشجت باكية ... صوب الغمام يسيل عن در
وتفجرت للدمع سارية ... في مقلتيك تنم عن سر
شؤبوبها المنهل منبعه ... ما تمطر الاكباد من جمر
كفلت دموعك غسل ما اجترحت ... كفاك من اثم ومن غدر
ونثرت بالدمع الذي سكبت ... عيناك ما شيعت من عمري
وبعثت احلاما لنا درجت ... في غمرة النسيان للقعر
فغفرت للدمع الذي ذرفت ... عيناك ما جرعت من مر

دمشق

عدنان مردم بك



عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري نظمت الشعر في عيني صبية حسناء كانت تسكن في نفس العمارة التي كنا نسكنها .

كان اسمها « بثينة » تكبرني بعامين .. كما قالت امها لامي في يوم من الايام .

ولكنها كانت فارعة الطول .. يظن من يراها انها ابنة الثامنة عشرة .. في عينيها شحوب .. ولعل تلك السن اثرت في نفسها حتى جعلت تلك الهالة من الارق الجامد تحيط بعينيها البنيتين .

وكان شعرها بلون الزبيب الاحمر ناعما منبسطا على عنقها ومسترسلا الى الوراء في شبه ضفائر .

كنت في كل عشية اصعد الى سطح العمارة .. واستند الى حافة سور يطل على شارع تمتد وراءه خضرة بساتين بعيدة .. وامسك بيدي دفترا صغيرا اكتب بعض اشعاري في سطور متفرقة فيه .

لم اكن اعرف من الشعر وزنا ولا قالبا .. وكل ما كنت اعرفه صورة حية تنطق فتشعرني بسعادة طاغية وسرور عجيب .

وسن الرابعة عشرة تبعث في نفس الانسان نشوة طروبة لا تفتأ تحدثه بحكايات غريبة .. وكنت حينما انفرد الى نفسي اعجب كيف خطرت لذهني مثل هذه الخواطر .. ولم اكن اخجل منها او اعيب على نفسي تمريرها في ذهني مثل استرجاع الخيال ..

وكانت تحدثني هذه الخواطر بقصص كبيرة .

فما زلت اعجب من نفسي ـ حتى اليوم من اعجابي المفتون بالسيدة « ربيعة » التي كانت تسكن بالدور الاول من عمارتنا الكبيرة .

والسيدة « ربيعة » زوجة جميلة للغاية .. شعرها اشقر وعيناها عسليتان .. وقوامها رائع مثير

وكنت ، لصغر سني ، كثيرا ما امكث في بيتها الى جانب ابنتها الصغيرة « رنده » التي تبلغ الحادية عشرة ، نلعب معا او نتجاذب حديثا صبيانيا بريئا . ولكن بصري يظل عالقا بالسيدة « ربيعة » وهي تخطر امامنا ـ دون انتباهها الي ، بثوبها البيتي الذي يكشف باغراء حاد عن ساقيها وذراعيها وصدرها الذي لا يحول دونه شيء .

وتسألني « رندة » ـ عندما تلمح علي بعض الشرود ، عن السبب .. واجيبها بانه شيطان الشعر ..

ولم تكن تعرف الصغيرة شيئا عن الشعر .. وتهرع الى امها تسألها عن شيطان الشعر وبينما تشرح الام لابنتها سؤالها ، اكون قد استرجعت في خيالي الشيطاني صورة السيدة « ربيعة » واضحة رائعة الانوثة .

واحيانا تتعدى خيالاتي الشيطانية مثل تلك الصور .. والوم نفسي كيف ابيح لافكاري ان تكون شريرة الى هذه الدرجة .. غير انني ما البث ان ارتد عن لوم نفسي حينما اعتقد بطهارة افكاري .. لانني افكر، وتفكيري ملكي لوحدي لا يشاركني احد به .. وانا اذا ما جردت ، بخيالي ، بعض هذه الصور فان صاحبها لا يعرف بمكنون نفسي مطلقا .. فلاعمل ما اشاء ، ولافكر حسبما اريد .

وربما افكاري هذه كان مصدرها انني عاطفي الى ابعد حد .. لانني اذكر انني عندما بكيت مرة من منظر طفل ميت تحت عجلات الترام قالت امي لجارتها :

ـ لم اجد في حياتي قلبا ارق من قلب « فؤاد »

وفكرت كثيرا بعد ذلك اليوم برقة قلبي .. حتى قلت مرة لرندة

ـ انني رقيق القلب يا صديقتي .. ولهذا فانا لا احب ان اغادر منزلكم

وفرحت الصغيرة ببراءة مفرطة . وذهبت الى امها تقص عليها رغبتي ، وحضرت الام وقد فرحت لفرح ابنتها .. وطيبت خاطري بكلمة ناعسة وطبعت على عنقي قبلة مشتعلة ..

واذ ذاك فقط فكرت بعقل رجل في الثلاثين .. وانتبهت فجأة على صوت صفعة شديدة مؤلمة تنهال على صدغي . لم احس بالصفعة ولكني سمعتها .. ولولا ان تكون يد السيدة ربيعة فوق صدغي لما عرفت انني انا المصفوع .

وبعد ايام عرفت السبب فالسيدة « ربيعة » تألمت لانني تكمشت بذراعيها العاريين واطبقت على صدرها اقبله بجنون .. ولم تجد عند ذلك الا ان تصفعني لترد الي الصواب .

لقد قالت عني لامي انني متوحش

وبكت يومذاك « رندة » لانها حرمت من رؤيتي .. ومنعتها امها من مقابلتي او التحدث معي .

ولم اعد اقابل « رندة » الا لماما .. حيث تكون مع امها ، واراها صدفة. وتنظر الي بطرف عينها وهي تكاد تهمس قائلة : « ما زلت صديقي رغم ان ماما متوحشة فهي التي اعتدت عليك بقبلتها الكريهة اولا . »

وكنت اضحك في سري كلما فسرت نظرة « رندة » الى هذه المعاني .. فلم تكن اشهى عندي من قبلة امها في عنقي .. لانني احسست ـ منذ ذلك اليوم انني انسان لي مشاعر خاصة واحاسيس لا يعرفها غيري .

وانقطعت تماما عن بيت السيدة « ربيعة » .. وحرمت كذلك من



رؤيتها في ثوبها المنزلي الذي يكشف عن انوثتها الطاغية بلا مبالاة . وبدات افكر ، واستولى علي الذهول المطبق وغدوت امضي جل اوقاتي على سطح العمارة .. في حين انه لم يكن احد من سكان العمارة كلها يصعد الى السطح غيري

رأيت « وداد » خادمة السيدة « ربيعة » مرة على السطح تنشر الغسيل .. ولم التفت اليها .. او هكذا خيل الي ، ولم اشعرها بانني ارقب حركاتها وسكناتها وهي ترفع ذراعيها للاعلى حتى تمس الحبل الطويل الممتد على طول السطح .. وبدات نظراتي الخبيثة تسرق منظرا حلوا مرتعشا .. صدرها الذي ينكشف ويبين ما تخبأ منه

.. ثم يعود فينستر حالما تعيد يديها للاسفل لالتقاط الغسيل من الوعاء على الارض .

وضربت مرة « سامح » ابن الجيران لانه احب مضايقتي وانا احاول ان اكتب بعض الشعر .. ضربته بمسطرة خشبية كانت بيدي .. واستطاع حرف المسطرة ان يشق جزءا من جبينه .. وهرول المسكين الى بيته باكيا والدم يسيل من جبهته

وبعد لحظات كان السطح يعج بالناس من اهلي ومن اهله .. وتجمع الجمع وبدات مناقشة غير مسموعة ولا مجدية .

ام « سامح » تنهال علي سبا وشتما .. وامي تدافع عني وتنعت ابن جارتها بالمعتدي .. ولكن ام سامح تعيد الاتهام وتوجه الي العتاب مرا من جديد .

تمضي ساعة تستعرض خلالها مختلف الشتائم واشكال السباب .. وينزل الجمع الثائر من السطح .. واظل في مكاني وكأن لم يحدث شيء .. بصري يسبح في العالم البعيد الممتد .. ويدي تعبث على الورقة وتخط عبارات مختلفة غامضة ويكون اسم السيدة « ربيعة » مكررا في كل سطر عدة مرات

وسمعت خلفي وقع اقدام خفيفة .. لم التفت رغم فضولي الشديد لمعرفة القادم بل ظللت في مكاني متشاغلا عن الاقدام التي ظلت تقترب حتى صارت خلفي تماما ، وسمعت صوتا يقول :

ـ هل تسمح لي ان اعتذر لك نيابة عن اخي « سامح »

عرفت الصوت رغم عدم التفاتي . كانت « بثينة » .. اشرت اليها بطرف القلم ان تنتظر .. وعدت اكتب من جديد وقد فقدت لحظتها سيطرتي على الكلمات فراحت تخرج دون انتباه او احساس مني .. بل مجرد كلمات

لم يكن بيني وبين « بثينة » قبل ذلك اليوم اية صلة . وحكاية اخيها « سامح » هي التي فتحت امامنا مجالا واسعا للحديث والمشاركة بالعواطف والاحاسيس والافكار ايضا .

وخلال مراقبتها لي .. احسست بعينيها تتابعان القلم بين اناملي وتقرا اسم السيدة « ربيعة » دون ان تتفوه بكلمة .

وفجاة وقبل ان انتظر منها ان تتكلم قالت بصوت لم تخفف الرجفة منه :

ـ لك افكارك الجريئة يا « فؤاد »

لم اكن اعرف ماذا تقصد بالجراة في افكاري .. ولكنني حين سالتها عن قصدها قالت مشيرة باصبع مصبوغ الظفر :

ـ السيدة « ربيعة » ما عنيت بكلامي انها متزوجة ، وابنتها «رندة» صديقتك ورفيقتك .

اجبتها وانا اشتهي ان اصفعها :

ـ ولكن افكاري هي ملكي لوحدي دون سواي من الناس .. وانا حر فيما اريد وفيما اشتهي كذلك

فردت بلهجة لم تخل من الكبرياء :

ـ ومع ذلك عليك ان تبدو ـ حتى امام نفسك ـ منطقيا .

ولم اجد نفسي الا وقد رحت امزق الورقة المكتوبة بعد ان نزعتها من الكراس .. وانثر مزقها الصغيرة

الى الشارع وتتلاعب بها الريح وتغدو كمواكب تطير الى عالمها المجهول .

وفغر ثغر « بثينة » بابتسامة عذبة ، ومدت يدها تصافحني .. اخذت يدها بين يدي وضحكت .. وادركت سبب ضحكتي ، فسحبت يدها واخفتها وراء ظهرها وقالت :

ـ لقد احضرت اختي « سعاد » اليوم زجاجة من صباغ الاظافر .. وجربت ان اطلي ظفرا واحدا .

فقلت لها وانا اكاد اسمع دقات قلبي :

ـ لون الطلاء يشوه ظفرك يا « بثينة » ..

ومع ابتسامتها العذبة قالت لي وقد مدت يدها من جديد :

ـ سانزعه شريطة ان لا تعود لافكارك الشيطانية .. وتعدني ان لا تكتب مرة اخرى اسم السيدة ربيعة

فقلت لها وقد اخذتني نشوة غامضة :

ـ اعدك بذلك .. وعليك ان تاتي الي كل يوم لتتاكدي انني استمع الى نصحك وكلامك

وكانما رددت اليها نفحة الحياة وهبة الخلود .. فقالت في نشوة طافحة :

ـ ساكون كل عشية الى جانبك فانتظرني ..

وبالفعل لم تتخلف « بثينة » عن الحضور كل عشية الى سطح العمارة وكنا نبقى وحدنا فترة من زمن لا نشعر بها .. ولكننا نحس بالظلام وقد لفنا برداء قاتم .. ونحسب ان اجتماعنا قد آن له ان ينفض فننزل سوية .. ونترك على السطح حكاية حلوة تبقى تتحدث عن نفسها حتى بعد ان نغادر المكان .

لم يكن احب الي من كتابة الشعر وانا اتطلع من فوق سور السطح الى البعيد .. واسجل ما يخطر على بالي في ابيات رقيقة عذبة كانسام الربيع .

ولكن بعد ذلك اليوم الذي حضرت

فيه « بثينة » وقاسمتني وحدتي الحبيبة تغيرت طريقة التعبير عما يجيش في نفسي وعما تقوله لي خواطري .. وغدوت اتطلع الى « بثينة » فاستبدلت منظر البعد البعيد بالعمق اللامتناهي الذي يلوح لي وراء عينيها .. وباتت عندي تسبيحة الوجود والهام الحياة .

وكان منظرنا معا فوق السطح وعند حافة السور منظرا جميلا .. نظل الى جانب بعض في سكون مغلق وفى صمت شارد يتطلع كل منا الى الاخر ونذوب في عاطفة لا تسمى ..

وبعد ايام عديدة صارت حكايتي مع « بثينة » قصة شعر رددها سكان العمارة بشيء كثير من الغلو والتستر .

وقابلتني « رندة » يوما عند اول السلم .. وكانت آتية من مدرستها ممسكة بيدها الصغيرة محفظتها الجلدية الملونة .. وباليد الاخرى باقة من زهر البنفسج ..

تكلفت عيوننا قبل ان نتبادل الحديث .. ثم مدت يدها تصافحني وركزت بصري نحو باقة البنفسج .. فانتبهت « رندة » الى ما انظر ، وسارعت تقول :

ــ ان ماما تحب البنفسج كثيرا .. ولهذا فقد احببت ان اسعدها هذا المساء . وظلت تتطلع الي في اشتياق وقالت اخيرا بلهجة لا تخلو من العتاب :

ــ انا اعرف انك تظل مع « بثينة » في السطح كل عشية حتى الليل .. ولا بد انك سعيد برفقتها ..

وعرفت ان الصبية الصغيرة تملك افكارا ساطعة ، وبراعة في التعبير عما يعتمل في صدرها . فاجبتها ببلاهة :

ــ بل نحن جيران .. وبثينة فتاة مليحة .. وانا احتاج الى صديقة بعد ان منعتك امك من مقابلتي .. فكيف تريدين مني ان اعيش وحيدا ..

فندت من صدرها زفرة .. وعادت تصعد السلم ببطء .

فخطرت لذهني في تلك اللحظة خاطرة .. فلحقت بها أسألها :

ــ امك تحب البنفسج ؟

قالت باستغراب :

ــ هكذا قلت لك .

فقلت لها :

ــ اعطني هذه الباقة اذن لاقدمها بنفسي لامك فربما كانت شفيعا لنا باللقاء مرة اخرى وتعود صداقتنا الى ما كانت عليه من قبل .. واعدك ان لا اقابل « بثينة » بعد ذاك .

وارتاحت « رندة » لعبارتي وناولتني الباقة البنفسجية وذهبت مغتبطة فرحة .

وبعد لحظات كنت اطرق باب السيدة « ربيعة » .. كنت اخشى ان تخرج لي « رندة » فتفتح لي الباب فتنكشف اللعبة وتفسد الخطة

ولكن الام فتحت لي بنفسها .. وحالما ابصرت بي انكمشت اساريرها وهمت ان تفعل شيئا .. او تنطق بعبارة لولا ان لاحظت بيدي باقة البنفسج تشرق مثل ابتسامتها وهي تخطر على ثغرها كالبدر يزين صفحة السماء .

مدت يدها في حركة سحرية وتناولت الباقة ونظرت في اعماق عيني .. وارادت ان تعبر عن شكرها بكلمة حلوة تطيب بها خاطري وتزيل ما بيننا من جفوة وتباعد . ولكنها لم تجد الكلمة .. او ربما لم تجد كلمة مناسبة ، فما كان منها الا ان امسكت بذراعي .. وقبل ان تسحبني الى الداخل كانت تطبع على شفتي قبلة خاطفة .

وفي لحظة خاطفة تجمعت كل كبريائي الصغيرة فى راسي .. وتجمع الدم كذلك في شفتي موضع القبلة ولم اجد نفسي الا وانا اعيد المأساة من جديد .. فانهال على صدغها بصفعة جمعت فيها كل قوتي .. وشهقت بدمعة طفرت من عينيها .. وصفقت الباب في وجهي وغابت عني دون ان تأتي بكلمة .

وقبل ان اعاود الصعود للسطح لمحت باقة البنفسج ملقاة عند عتبة الباب المغلق . فاخذتها بيدي ونظرت اليها بحسرة مكبوتة وصعدت ..

كانت « بثينة » تنتظرني عند حافة السور في مكاننا المعهود .. حين رميت بين يديها باقة البنفسج ..

فتطلعت ألي فى ذهول .. فقصصت عليها الحكاية ، وقصة الباقة فابتسمت واجابتني :

ــ هكذا افضل ...

وعصرت بين اناملها باقة البنفسج حتى حسبت انها تريد ان تستخرج منها العبير المدفون فيها .. وقربتها من انفها ، وقبل ان تشمها كانت الباقة تطير في الفضاء في طريقها نحو اسفل العمارة .

نظرت فى عيني « بثينة » فوجدت فيهما شيئا جديدا ، ولونا حلوا عذبا . .اجمل من لون البنفسج . وقلت لها :

ــ بثينتي .. اريد ان اكتب في عينيك قصيدة جميلة . .

فردت علي في أغماءة حالمة :

ــ وهل تكفيك نظرة باسمة مني .. ام انك تفضل شيئا اخر ..

قلت لها وقد حاولت ان ابدو انسانا كبيرا :

ــ ما تجود به نفسك اقنع به كأمنية الحياة

فابتسمت . .ومدت يدها الي وامسكت بيدي المرتجفة في عطف بالغ وقالت :

ــ قلبي كله لك وحدك يا « فؤاد »

وانصرفت . وكأنما اثرت في نفسها عبارتها .. فارادت ان تختفي عني قبل ان تفضحها العبرات ..

اما انا فقد ظللت تلك العشية اكتب واكتب حتى حل الظلام ولفني في ثوبه القاتم وانا مسترسل في خواطري .. حتى لم اعد ابصر شيئا .

واحتفظت بالقصيدة .. وتلك اول قصيدة احتفظ بها على خلاف كل ما كتبت سابقا .. فقد كنت امزق ما اكتب قبل ان اعود الى قراءته مرة ثانية .

حنين

والله ما ارخصت ودك	ابدا ولا ضيعت عهدك
يا هاجري حاشا رضاك	تسوم سوء الهجر عبدك
انــي اعـوذ بمقلتيك	فلا تطل يا روح صدك
حملت جهدي في نواك	فما الذي حملت جهدك
فعرفت انك قصد روحي	والتجافي كان قصدك
وسألت ، هاك النفس ردي	اي شيء كان ردك ؟
ولمست قلبي وردة	لك حيث كان الشوك وردك
ابعدت كل هوى سوى حبيك	مذ واليت بعدك
وسألت عنك الفجر والاطياب	فهي تصون ودك
تحكي الخمائل عن شذاك	وتسرق الاطياب ندك
يا مستفيقا في الضلوع	شكوت سهد الليل بعدك
يا حالما في مقلتي	حملت عن عينيك سهدك
الغرفة الصفراء كيف نسيتها	ونسيت عهدك
امرعت حيث خطوت ظلا	علم الالوان حمدك
مقل الضمير على خطاك	تصون بالجفنين وردك
يا هاجري يحلو الرضا	اذ تنبىء الاسحار عودك
وفت السماء بوعدها	غيثا ، سألتك وف وعدك

علي شلق

ولم اطلع « بثينة » على ما كتبت في عينيها .. لانني اعتبرت ان قصيدتي لا تليق بها .. فقد كانت القصيدة الاولى التي ضمت اسمها الحبيب بين حروفها المرتعشة .

فطفقت اكتب واكتب الى سنوات وانا منتش بلحظة مرت علي ملكت فيها قلبا كبيرا مفعما بالحب .. قلب « بثينة » الذي كنت افزع اليه كلما اشتد بي الشوق وحرقتني الذكريات

وظلت « بثينة » ـ بعد ذلك اليوم الى جانبي فترة من زمن .. ثم ما لبثت ان انقطعت عن زيارتي في السطح لانها اعتبرت ذلك استخفافا منها وقد صارت شابة يافعة .. وغدوت انا الاخر شابا اقرب الى الرجولة مني الى عهد الصبا الاول الذي الفناه فيما مضى .

لم نعد نرى بعضنا الا في صدف عابرة .. واختفت بعد ذلك من حياتي .. ونقلت هي واهلها من العمارة .. ومن الحي كله .

ثم عرفت من اهلي انها تزوجت .. وانجبت ولدا اسمته « فؤاد » .

وكادت تنقطع عني جميع اسباب الذكرى .. ما عدا باقة البنفسج احفظها لدي يابسة في كراسة مخطوطة باشعار العهد الاول .. تلك كانت الباقة التي اعطيتها لبثينة يوم صفعت السيدة « ربيعة » .. فعندما رمت « بثينة » بالباقة من اعلى السور في السطح ـ يومذاك .. هرعت الى الشارع ، بعد ان غادرتني . واحضرت الباقة وطويتها في سري حتى اليوم .

وما زالت ، باقة البنفسج ، عندي اعز الذكريات ...

حمص **عدنان الداعوق**

التربية الجامعية في الولايات المتحدة

بقلم يوسف اسعد داغر

الطب

كنت ترى الطبيب من نحو خمسين سنة يخرج من منزله وبيده حقيبة مدهوكة تعبة تحوي بعض ادواته الطبية ، وطائفة من قماقم العقاقير وحقاق الادوية والمستحضرات ، يهرول خفافا في شوارع المدينة ويختصر المسافات ويطويها مارا بالمعابر والمختصرات ، يلهب الخطى في اثر دليل ، ويلج وراءه منزلا ليعالج فيه مريضا هم ذووه حالته الصحية فبعثوا يستقدمونه على عجل . وكثيرا ما كانت اشد الامراض خطورة تعالج في منزل المريض بالنظر لقلة المستشفيات وعدم توفرها في البلاد اذا ما قيس عددها اذ ذاك بما هي عليه اليوم من وفرة وكثرة .

هذه صورة قريبة من الواقع تصف ما كان عليه الطب والطبيب من نحو اربعة أو خمسة عقود من السنين في اميركا . اما عندنا هنا في الشرق فلا تزال ماثلة للعيان في كثير من البقاع والارياف . وقد تبدلت هذه الامور الان تبدلا جذريا وتطور وضع الطبيب كليا واستحدثت وجوه معالجة مرضاه بشكل يستأثر بالانتباه ويثير الاعجاب والدهش في آن واحد بالعناية بالمرضى والاهتمام بهم اصبح اليوم اكثر فاكثر من اختصاص المستشفيات والمستوصفات الطبية بحيث يحف بالطبيب فريق من المعاونين ، هم في الغالب من اصحاب الاختصاص والخبرة الفنية ، اذ لم تعد تقتصر عناية الطبيب على شفاء المريض ومحاولة انقاذه واستخلاصه من الاسقام بل تعدت ذلك الى وقايته من الاشتراكات والمخالطات وتأمين اسباب النقه بالسرعة المرجوة ، وتأهيل ضحايا الامراض واعدادهم للعيش الكريم .

كان تعليم الطب عند اوائل المستوطنين في اميركا ، مقصورا على بعض العادات والاعراف المرعية الاجراء ، يتناقلها الاطباء بعضا عن بعض ويقبسونها بملازمة محترفي الطب وحملته يتمرسون عليه لديهم . وقد ظهر للجميع خواء الطريقة المتبعة وما تخفيه من مخاطر ومحاذير تهدد الصحة العامة فتجلت للعيان ضرورة انشاء مدارس ومعاهد خاصة لتعليم الطب واقتباسه بالمران والمراس والجمع بين النظر والتطبيق . وقبلمغيب القرن الثامن عشر ظهر في الولايات الاميركية المتحدة ٤ كليات للطب قامت تابعية لبعض الجامعات .

سجل تدريس الطب في النصف الاول من القرن العشرين تطورا لم يسبق ان عرف مثله في اي دور من الادوار التي مر بها في القرن التاسع عشر احدث ثورة جذرية في الاساليب والمناهج ، والعدة والعتاد والاجهزة والتجارب المخبرية ، كان للجمعية الطبية الاميركية فضل كبير في اعدادها واطلاقها .

واول ما اهتمت له الحركة الجديدة تحديد الاهداف العليا وتعيين الاغراض البعيدة التي تهدف لها تربية الاطباء وتخرجهم في البلاد . فكان في طليعتها جميعا تأمين تعليم نظري مركز لجميع طلاب الطب وتدريبهم وفقا للاصول ليصبح في مكنتهم ممارسة مهنتهم بعلم وكفاءة وتقدير للمسؤوليات . كذلك حرص المعنيون بتخريج الاطباء على غرس حب البحث العلمي في نفوسهم والتشديد عليهم بوجوب السعي الموصول للنهوض بالعلوم الطبية وترقيتها ورفع مستواها .

اما دراسة الطب فمدتها اربع سنوات يتلقى الطالب في السنتين الاولى والثانية منهما الموضوعات الاساسية الكبرى ، أي الدرس النظري ، فيتفقه بتركيب الجسم البشري وتشريحه ووظائف الاعضاء واسباب المرض والتغييرات التي يحدثها المرض في تركيب الاعضاء والاجهزة او في وظائفها الاساسية . وتخصص السنتان الثالثة والرابعة للشؤون السريرية والمعالجة العملية بحيث يقضي طالب الطب معظم ساعات نهاره في المستشفى على اتصال مباشر بالمرضى وطرق معالجتهم تحت اشراف اساتذته وتوجيهاتهم

ولدى انهاء الطالب دراسته النظرية والعملية بنجاح يتخرج رسميا بانالته شهادة التخرج او الدكتوراه في الطب . الا انه قبل انصرافه الى مزاولة حرفة الطب عليه ان يحصل على اجازة خاصة بممارسة الطب ومزاولته وذلك من السلطات المعنية في الولاية التي ينوي العمل فيها وهي اجازة لا تعطى عادة الا بعد ان يقضي على الاقل سنة يتمرن خلالها في احد المستشفيات الرئيسية بوصفه طبيبا ملازما .

فاذا ما رغب الطبيب ان يتخصص في باب من ابواب الطب وينقطع له كان لا بد له من أن يصرف من سنتين الى اربع سنوات في احد المستشفياتالبارزة يعمل فيه كطبيب مقيم بعد الانتهاء من سنة يقضيها كطبيب ملازم .

كثيرا ما يضطر الطبيب للبحث عن مجهول يخفي وراءه سبب العلة . ولذا كان البحث العلمي من الاهداف الرئيسية التي تجعلها كلية الطب نصب اعينها . ففي بعض الجامعات او في بعض المراكز الطبية يطغى برنامج البحث العلمي على برنامج التعليم الذي يضطلع به الاساتذة ، وهو بحث تمكن له في الدرجة الاولى التجهيزات العلمية والمخبرية الدقيقة ، وهو امر يتمثل على صورته الاكمل في مركز روكفلر للابحاث الطبية في نيويورك .

● راجع الاديب عدد ديسمبر صفحة ١٩

ولما كان الطب يتطور يوما بعد يوم ، فعلى الطبيب ان لا يتوهم قط انه بانتهاء تحصيله الرسمي بلغ سدرة المنتهى في الطب وعلومه او انه ملك ناحيته وثنى عنانه .. ولذا عليه ان يتحسس دوما الحاجة الى انهاء معارفه الطبية وتغذية ثقافته بالاطلاع المستمر على المستكشفات الجديدة والاختراعات التي تجد في طرق الطبابة ، والمستحدثات في علم الادوية والاقراباذين . وتسهيلا لهذا الامر راحت بعض كليات الطب حديثا تضع برامج اضافية لخريجيها وتدعوهم في دورات معينة الى مؤتمرات تبحث موضوعات طبية على ضوء تطورات العلوم ، ناهيك عن محاضرات سريرية تنظمها الجمعيات الطبية تناقش فيها النظريات المعروضة بحرية راي تامة ، بحيث يبقى الطبيب على اتصال مباشر بتقدم العلوم وتطورها الصاعد

ويطلب الى كليات الطب ان تسهم على نطاق واسع بوضع المناهج التي تؤول للمحافظة على الصحة العامة في المنطقة التي تقوم فيها . ولذا تحرص هذه المعاهد على انتقاء خير الاطباء لهذه المهمة واكفأ الاخصائيين في العلوم الطبية وتأمين المختبرات الطبية وتجهيزها فنيا وتكنيا بادهى ما اخترعه العلم من الاجهزة وادوات البحث والتحليل .

والمجلس الاميركي للمستشفيات وتعليم الطب التابع للجمعية الطبية الاميركية ، مع رابطة كليات الطب هو الهيئة الرسمية التي تعترف بالمؤهلات اللازمة التي لا بد من توفرها في مؤسسة تربوية تنهض لتعليم الطب في البلاد . والمعروف ان الجمعية الطبية الاميركية تاسست عام ١٨٤٧ ولعل اقدم هيئة عنيت بامور تعليم الطب وتنظيم المهنة هي الجمعية الاميركية لكليات الطب ومدارسه ، التي تأسست عام ١٨٩٠

طب الاسنان

يرجع تاريخ تعليم طب الاسنان في اميركا الى سنة ١٨٤٠ اذ فيها تأسست اول مدرسة لطب الاسنان قامت في مدينة بلطيمور . وبقي طلاب هذا الفرع المهني لا يخضعون في دخولهم مدارس طب الاسنان التي توالى انشاؤها في ما بعد لاية شرائط علمية خاصة . وبقي الامر على مثل هذا الوضع حتى عام ١٨٨٤ اذ فرض على طالب طب الاسنان ، اذ ذاك ، ان يكون ضليعا باللغة الانكليزية . وفي عام ١٨٩٨ اخذت مدارس طب الاسنان تقتضيه ان يكون درس سنة واحدة على الاقل في مدرسة عالية . ومنذ ذلك الحين فصاعدا اخذت هذه المعاهد تفرض شروطا اقسى على الراغبين في دراسة طب الاسنان ، حتى كانت سنة ١٩٣٥ ، ففرض على طالب طب الاسنان ان يكون قضى سنتين على الاقل في التعليم الجامعي . ومع هذا راحت بعض معاهده تفرض على الراغبين في الانتساب اليها اجتياز امتحان دخول والنجاح فيه ليصير قبول الطالب فيه .

وفي عام ١٩٣٩ وضعت الهيأة التعليمية لطب الاسنان في اميركا برنامجاتحضيريا ، على طلاب هذا الفرع ان ياخذوا به ويقبسوه بحذافيره قبل قبولهم في كليات طب الاسنان . واوجب هذا البرنامج على كل طالب يبغي الانصراف لدراسة طب الاسنان ان يكون قضي سنتين في درس الانكليزية والتفقه بآدابها ، ودرس البيولوجيا والفيزياء والكيمياء العضوية قبل الانقطاع بكليته لدرس هذا العلم . كذلك ، اوجبت مدارس طب الاسنان ان يكون الراغب في درس الطب قضى سنتين على الاقل في الجامعة ، وهنالك البعض منها يتشبث مشترطا ثلاث سنوات في الجامعة .

واي معهد لطب الاسنان في اميركا اليوم يحرص على ان يتضمن برنامج الدراسة المواد التالية : علم المخدرات والمرقدات ، علم المكروبات والبكتيريولوجيا ، علم الكيمياء البيولوجية ، دراسة الاسنان وعناصر تركيبها ، تشخيص امراض الاسنان ، علم ادب المهنة ، التشريح عموما ، علم تركيب الخلايا في الجسم ، علم الاجنة ، تشريح الفم وما اليه ، جراحة الفم ، طب الاسنان العلاجي ، علم امراض الاسنان ، علم تقويم الاسنان ، تصوير الاسنان ، صحة الفم والاسنان ، مبادي عامة في الطب

ويتولى مجلس تعليم طب الاسنان في اميركا مهمة الاعتراف القانوني بمعاهد طب الاسنان وتدريسه . والمجلس المذكور يتألف من اعضاء يمثلون الجمعية الاميركية لطب الاسنان ، والجمعية الاميركية لفحص اطباء الاسنان

ولكي يتمكن طبيب الاسنان من ممارسة مهنته في اية ولاية من ولايات الاتحاد او في مقاطعة كولمبيا عليه ان ينال بذلك اجازة خاصة من هيئة فاحصي اطباء الاسنان في الولاية .

والاقبال على تعلم طب الاسنان في ازدياد مطرد كما ان مستوى هذه المهنة العلمي والفني هو في تطور تصاعدي . ففي اميركا اليوم ٤٢ كلية لطب الاسنان ، امدت البلاد بـ ٧٦ الف طبيب أسنان . ومعظم اطباء الاسنان يتعاطون طب الاسنان ويمارسونه جملة . الا ان بينهم فريقا انقطع للتخصص في بعض نواحي هذا الطب ، كجراحة الفم ، او طبابة اسنان الاولاد او بفن تجميل الاسنان وتقويتها ، او بضع وجبات الاسنان الصناعية او بامراض الفم وغير ذلك من وجوه الاختصاص المهني

فن التمريض

على اثر التطور العظيم الذي لحق باسباب الصحة العامة والعوامل المتحكمة بها لم يكن بد لفن التمريض من ان يتأثر هو الاخر بعوامل هذا التطور فيزداد بالتالي شأنا وتقديرا في نظر الراي العام الواعي . واخذ الانتساب الى معاهد فن التمريض يزداد في السنوات العشر الاخيرة بعد ان اشتدت الحاجة في اميركا للممرضات اثر

اعتماد الاميركيين اكثر فاكثر للمستشفيات واقبالهم على المستوصفات لتأمين ما يرغبون فيه من اسباب العناية الطبية .

والتقدم العظيم الذي سجله الطب في الحقبة الاخيرة راح يؤمن فوائده العميمة ومنافعه الجزيلة للناس جمهور لا يحصى من المرضات ، اذ لم يعد ليقتصر عمل الممرضة على طبابة المريض في المستشفى بل اخذت تلازمه خلال فترة النقاهة في منزله والاستجمام للراحة في مراكز الاستجمام . وهكذا ترتب على الممرضات واجبات وعهد اليها بمسؤوليات لا يستطعن القيام بها على الوجه الاكمل الا بعد ان يتم لهن التدريب المهني والمسلكي ، وبعد ان يتوفر لهن وجوه من المهارات اللازمة ، فلا عجب بعد هذا الاقبال على الممرضات ، ان يزداد في البلاد عدد الممرضات الخريجات . فبعد ان كان عددهن عام ١٨٧٠ لا يتجاوز ١٢٠٤ ممرضة ، اذ به يرتفع تدريجيا ليبلغ اليوم ٥٠٠ الف ممرضة قانونية

واول مدرسة للتمريض قامت في اميركا تأسست عام ١٨٧٣ واخذ عدد معاهد تخريج الممرضات ينمو ويزداد في العقود الاولى من القرن العشرين . ومعظم معاهد فن التمريض يقوم ، الا ما ندر ، ضمن المستشفيات حيث يسير التعليم النظري والتعليم العملي جنبا الى جنب طيلة مدة الدراسة التي يقتضيها تخريج ممرضة قانونية ، فتتدرب على معالجة المرضى ومؤساتهم .

وحوالي عام ١٩٢٣ اي عندما اخذ الناس يقدرون بوعي اكبر الدور الذي تلعبه الممرضة في مرافق الصحة العامة ، راحت اللجنة الخاصة بتخريج الممرضات تحدد جملة وتفصيلا البرامج التربوية التي يجب ان يخضع لها تخريج الممرضات ليأتي اعدادهن العلمي والعملي ، والفني والمسلكي ، وفقا لمقتضيات الصحة العامة كما راحت تقترح انشاء المزيد من معاهد التخرج . وفي سنة ١٩٠٩ ، اسست جامعة فيزوتا اول مدرسة حديثة لفن التمريض وفقا لبرنامج مفصل . الا ان المنهاج سار العمل به وئيدا حتى عام ١٩٤٦ فجرى اذ ذاك تعديله على اسس حديثة امنت لفن التمريض تطورا عظيما .

ان اتساع الاعمال امام الممرضات في عصرنا هذا جعل من الضروري وضع مناهج لتخريج الممرضات ، متعددة الوجوه . اما كلا من الشهادة الاساسية والبرامج التي تهيء للدبلوما بفن التمريض تعد الممرضات للدور الاول المنوط بهن القيام به . فالشهادة الاساسية تضمن للخريجات بفن التمريض تربية عامة اوسع وارحب من التربية التي توفرها لهن الدبلوما .

فالممرضات اللواتي يحصلن على دبلوما التمريض العملي يتدربن عادة في المستشفيات التابعة لعدد من الكليات والجامعات . ومدة الدراسة القانونية ثلاث سنوات . فيتلقين دروسا شتى في علوم تتصل من قريب او بعيد بفن التمريض كما يخضعن في الوقت ذاته لتدريب عملي على مهنة التمريض .

والدبلوما التي تعطى للممرضات بالتمرين تتباين برامجها طولا وشمولا وعلما وعملا . والمنهاج التربوي التعليمي يتطور كالتدريب العملي المهني ببطء ولكن باستمرار مطرد ولا يزال منهاج تخريج الممرضات في حكم التكوين والصيرورة . وهذا التطور التربوي الاخذة به البلاد كفيل بان يلبي حاجة البلاد الماسة للممرضات .

وهذه الحاجة لممرضات متخصصات يقمن باعمال الاشراف والمسؤوليات الادارية التي يوكل بها اليهن بدت على اشدها . كذلك ان الانقطاع للبحث العلمي في فن التمريض والتفرغ لهذه الناحية يجعل من المحتم تأمين ممرضات متخصصات ذوات تحصيل عال ، بعد ان طلع علينا اليوم مجال جديد في حقل التمريض ، هو التمريض النووي بعد ان غزت الطاقة النووية مجالات الصناعة والطب على السواء .

وقد تعددت امام الممرضات مجالات الاعمال واشكال النشاطات التي باستطاعتهن القيام بها فتعددت المئات، وكلها اعمال يقتضي لها التخصص بفن التمريض تعجز الممرضات العمليات القيام بها على الوجه الامثل

الطب البيطري

للطب البيطري من الاهمية والشأن في وقتنا هذا ما لم يحظ ببعضه من قبل ، بعد ان اتجهت العناية للاهتمام اكثر فاكثر بمتطلبات الصحة العامة في البلاد . والطبيب البيطري مدعو ، هو الاخر ، للسهر على بعض نواحيها .

كان الحصان على الاخص والامراض التي يتعرض لها موضوع عناية الطبيب البيطري قديما ، وذلك بالنظر لما يمثله الحصان من شأن في خدمة الانسان ، يتخذ منه مطية او اداة للجر او وسيلة من وسائل الاتصال السريع. فقد ظن بعضهم ان مهنة الطبيب البيطري ، لن تلبث ان تتلاشى تباعا فتنتسخ بعد أن تحل الالة محل الحصان في اعمال النقل والزراعة ، فاذا بالامر على عكس ما قدره قصار النظر ، واذا بالطب البيطري يغيز مرافق الصحة العامة واذا بالطبيب البيطري يكافح وينافح مناضلا مجاهدا في تجنيب الحيوانات التي تؤمن قسما هاما من غذاء الانسان ، الامراض والافات التي تستهدف الضرع والزرع ، ويراقبها ويحاول التحكم بها واستئصال شأفتها مع الاهتمام المتزايد بالوسائل التي تؤمن اكثر فاكثر تربية الماشية والطيور الداجنة .

يعرف العلم اليوم اكثر من مائة مرض يمكن انتقالها بالعدوى من الحيوان الى الانسان ، ولذا انصرفت كليات الطب البيطري في البلاد لتأمين العدد الكافي من الاطباء البيطريين الذين يعملون في مكافحة هذه الامراض الفاشية بين الماسية والسائمة ، كما عمدت من جهة ثانية ، الى اثارة اهتمام الناس بهذه المهنة الانسانية .

فالطبيب البيطري لا يقتصر عمله على مكافحة الامراض الحيوانية والقضاء عليها بازالة اسبابها ومسبباتها ، بل بامكانه ان يصبح اخصائيا خبيرا بتربية الماشية والدجاج وتأصيل انواعها وعروقها ، وتأمين خير العلف لها ، بحيث تصبح المزارع اكثر قدرة لانتاج المزيد من اللحوم والحليب والصوف والبيض وغير ذلك من صفوف الانتاج الحيواني كما ان مجال البحث العلمي ينفتح امامه ، ليلج باب البحث وقد انفتح امامه على مصراعيه في حقل الامراض ومجال البكتيريا

ولما يكن الماهدون الرواد من اساتذة الطب البيطري سوى معلمين درسوا المهنة على انفسهم وفقهوها بالمران والتجربة والاختبار الذاتي ، يوم لم يكن تتوفر لهم في البلاد وسائل التعليم واقتباس المهنة بعلم واصول ، فتمكنوا بجهودهم الخاصة من استنباط الطرق الفنية ووضع المناهج والبرامج النظرية والعملية التي لا بد لطالب الطب البيطري من التخرج بها والتمرس عليها ليخرج طبيبا بيطريا نافعا . فلا عجب بعد هذا ، ان يعتمد المزارعون في اميركا اعتمادا كبيرا على الاطباء البيطريين للمحافظة على صحة مزارعهم وصحة ماشيتهم ودواجنهم فكان لهم بالتالي يد كريمة في هذا التقدم وهذا الازدهار الذي حققته الزراعة في اميركا في السنوات الاخيرة .

واول برنامج وضع لدراسة الطب البيطري ، فرض على الطالب سنتين من الدراسة المتصلة . وفي سنة ١٩١٦ ، جعلت دراسة الطب البيطري اربع سنوات يمهد لها بسنة علمية في الجامعة . وفي سنة ١٩٤٩ ، فرض على طالب الطب البيطري، ان يكون قضى سنتين في الجامعة قبل انتسابه الى مدرسة الطب البيطري وهكذا فان شهادة الطبيب البيطري يقتضي لها اليوم سنتين من الدراسة الجامعية و٤ سنوات من التخصص .

يوجد في الولايات المتحدة الاميركية اليوم ١٧ كلية للطب البيطري ، منها اثنتان في كندا . ولما كانت هذه المعاهد لا يمكن ان تفي بحاجة البلاد للاطباء البيطريين بعد ان اشتدت الحاجة كثيرا اليهم ، فقد عقدت ١٣ ولاية من الولايات الجنوبية في الاتحاد الاميركي ، اتفاقا فيما بينها تتكفل بموجبه بانشاء خمس كليات جديدة للطب البيطري في المنطقة تتعهد بتأمين اودها ، على ان تأخذ كل من هذه الكليات الجديدة ، عددا معينا من طلابها من ابناء الولاية . والترتيبات ناشطة لاتخاذ مثل هذا التدبير بين فئات اخرى في الولايات الاميركية . ففي اميركا اليوم ١٣٠٠٠ طبيب بيطري

واغلب معاهد الطب البيطري هي معاهد تابعة للكليات الزراعية التي قامت في البلاد على اساس الهبات الوقفية . وتخضع كليات الطب المعترف بها في اميركا لاشراف الرابطة الاميركية للطب البيطري ، والمكتب الاميركي للثروة الحيوانية ولجنة الفحص البيطري في الولاية التي تقع فيها الكلية .

وقد لعبت الجمعية الاميركية للطب البيطري دورا بارزا في تحديد مستوى التعليم المهني ورفعه الى المنسوب العالي الذي يتمتع به اليوم في البلاد .

يوسف اسعد داغر

الـــى غـــريبـــة

لا تعجبي ان جاءك الكتاب
من طارق غريب
مقتحما وحدتك الجديبة
لا تغضبي
فانت يا صديقتي غريبة
وكلنا في غربة نجترها رتيبة

صديقتي
وانت تخطرين في الطريق
وعندما
تلاقت العيون بالعيون
في نظرة عابرة حنون
لمحت الف غربة رهيبة
تخطر في عينيك كالمساء

وكنت يا صديقتي وحيدة
وانني انــا هنا وحيد
في عالم التراب والجليد
في عالم اناسه عبيد
تشدهم سلاسل القيود
وجوههم قدت مــن الحجر
يحيون فى دوامة الضجر
في عالم ربيعه شتاء
لا عمر للانسان فيه غير ما خط القدر

صديقتي
لا تعجبي ان جاءك الكتاب
من طارق
لا تعرفين وجهه غريب
نهــاره ظلام
وقلبه حطـام
وليله تبلد جديب
في عينيه صمت وطيف غربة كئيبة

ينساب في دوامة الشتاء
في عالم القيود والتراب
حيث الرجال تائهون في مهامه الضياع
لا يتركون خلفهم ظلال
لا يجتلون في طريقهم شعاع
موتى بداء الخوف والجمود

صديقتي لو تقرئين ذلك الكتاب
وتفتحين هذه الابواب
للعابر الجديد
ونكسر القيود
ونخلع الاقنعة الرهيبة
ويضمحل الجدب في مجاهل السراب
فتورق الحياة بالحياة
ونهزم الصقيع بالربيع

صديقتي
صديقتي الغريبة
رفيقتي في غربة الحياة
لعلني اوغلت في مسالك الظنون
لعلني اخطأت حين التقت العيون
في فهم كنه نظرة عابرة حنون
فزوق الخيال تلك الغربة العجيبة
وراح وهمي يعجن السراب والاوهام
فان تكوني بنت هذا العالم البليد
وان تكوني قد الفت هذه القيود
والسأم المبيد
في عالم التراب والجليد
فلتغفري جراة هذا الطارق الغريب
فسوف يمضي وحده في عالم الضياع
لا شيء فى دنياه غير الوهم والفراغ

عترون ــ لبنان **فضل الامين**

تغيير علاج

تأليف و. و. جاكوبس

ترجمة منيرة عبد الجواد

قــال حارس الليل :

« نعم ، لقد ابحرت كثيــرا تحت قيادة ربابنة اذكياء وغريبــي الاطوار ولكن الشخص الذي ساحدثكم عنه ما كان يجب ان يوثق به ابدا . لقد كان كثير من ربابنتي ذوي غرابة متميزة ، ولكن ذلك الشخص كــان اسوا واعجب من عملت تحت رياسته .

« كان ذلك منذ بضع سنين مضت عندما ابحرت على سفينته « جــون اليوت » التي كانت تسير ببطء شديد لم اعهده حتى فــي سير القوارب الصغيرة ، ولم اكن في حالة ملائمة تماما ومناسبة لادري ماذا افعــل ولم يكن قد مضى علي يومين وانــا عليها ، قبل ان اكتشف هواية الربان خلال ما وصل الى اذني من ملاحظات عابرة قليلة من حديث الملازم الثاني الذي اقبل مسرعا من حجرة الطعــام لينقلها للملازم الاول صائحا :

« انا لا اهتم بالمناشير او السكاكين المعلقة حول الكبينة ، ولكن عندمــا يضع زميل يدا بشرية بجوار طبــق طعامه على المائدة ويأخذ في دراستها بينما الكل يتناول طعامه فان هذا اكثر مما احتمل . »

فرد الملازم الاول الذي كان قــد ابحر على السفينة من قبل :

« ان هذا ليس شيئا بالنسبــة لتصرفاته ، فهو نصف مجنون بدراسة الطب ، لقد اوشكت ان تحدث بيننا ثورة في احدى المرات لانه أصر علــى ان يجري تحقيقا لان زميلا وقع مــن اعلى سارية المركب فاراد ان يعرف سبب موت الزميل المسكين » .

فقال الملازم الثاني :

« اني اسمي هذا اضرارا بالصحة لقد اعطاني اليوم عند الافطار قرصــا كقطعة رخام صغيرة فافقدني شهيتي للطعام تماما » .

وبالطبع شاعت هواية الربــان العجيبة بين كل من على السفينة ، ولكني لم افكر فيها كثيرا الى ان رايت ذات يوم دانيل دانيس العجوز جالسا على سطح السفينة يقــرأ في كتاب قديم ، وبين وقتواخر يرفع راسه ويغلق الكتاب وينظر الى اعلى وقد اغلق عينيه ثم يحرك شفتيــه كدجاجة تحتسي الماء ، ثم ينظر فــي الكتاب مرة اخرى ، فصحت به :

ـ ما هذا يا دان ! ما الخبر ! انــك بالطبع لا تذاكر درسا في مثل هذا الوقت من حياتك ! ! اليس كذلك !

فرد دان بهدوء وهو يدفع الــي بالكتاب الذي بين يديه .

ـ نعم ! اني اذاكر . تستطيع ان ترى هل يمكنني ان القيها جيدا ام لا ! . .

انها هذه المقطوعة عن مرض القلب وناولني دان الكتاب الذي كــان مملوءا بجميع الامراض وغمز لي بعينيه وهو يقول :

ـ لقد اشتريته مستعملا من مكتبة صغيرة .

ثم اغلق عينيه والقى مقطوعتــه بطريقة مدهشة جعلتني شغوفا للغاية بالانصات اليه ، وعندما انتهى مــن القائه قال لي :

ـ هذا هو ما اشعر به ، قوة تكفي فقط ان اذهب الى السرير ، اعرنــي يدك يا بل وادع لي الطبيب .

عندئذ فقط عرفت لعبته ، ولما كنت لا اريد القيام باية مغامرة ، فاني اكتفيت بان اذكر فقط امله الطباخ وبطريقة عرضية ان دان العجوز يبدو غير طبيعي اليوم . ثم ذهبت الــى دان احاول أن استعير منــه الكتاب فقد كنت شغوفا بالقراءة دائمــا . ولكن دان العجوز تظاهر بانه مريــض لدرجة انه لا يسمع ما اقول ، وقبل ان اتمكن من اخذ الكتاب منه جــاء الربان مسرعا ومعه حقيبة وسأله :

ـ ما الخبر يا عزيزي ؟ ما الخبر ؟

فرد دان بصوت واه ضعيف :

ـ اني بخير يا سيدي .. بخير .. فيما عدا اغماءة بسيطة تعاودني بيــن وقت واخر .

فقال الربان وهو يقيس نبضه :

ـ اخبرني بالضبط .. ما الذي تشعر به ؟

وعندئذ القى دان مقطوعته التــي حفظها من الكتاب فهز الربان راســه وبدا حزينا مهموما للغاية ثم ساله :

ـ منذ متى وانت هكذا ؟

ـ اربع سنوات او خمس يا سيدي انه ليس شيئا خطيرا يا سيدي ! هل هو شيء خطير يا سيدي ؟

فرد الربان وهو يضع سماعتــه الصغيرة على صدر دان .

ـ ارقد ساكنا تماما دون حراك . تنفس .. آه .. هناك خطر كبير .. ان حالة البروجنوتس سيئة جــدا لديك .

فصرخ دان .

ـ بروج .. ماذا يا سيدي ؟

فقال الربان :

ـ بروجنوتس .. ـ او هــذا على الاقل ما اظن انه قاله ـ الــزم الهدوء ولا تتحرك .. ساذهب واحضر لك بعض الدواء واكلف الطاهي ان يعد لك شربة لحم قوية .

وما كاد الربان يذهب حتى اقبــل كورنش هاري وهو زميل عبارة عــن كتلة آدمية ضخمة ، طوله ستة اقدام وبوصتان . واسرع الى دان قائــلا

ـ اعطني هذا الكتاب .

فقال دان .

ـ اذهب عني .. لا تزعجني .. لقد سمعت الربان وهو يتحدث عن سوء البروجنوتس عندي !

فرد هاري وهو يمسك بدان :



ـ اعرني هذا الكتاب والا ضربتك، ثم اخبرت الربان باللعبة التي تلعبها . اعتقد اني مسلول بعض الشيء ، وعلى اية حال ساري .

ثم اختطف الكتاب من دان العجوز واخذ في القراءة .

كان الكتاب مليئا بالامراض لدرجة انه اغرى هاري بان يختار مرضا اخر غير السل ولكنه في النهاية قرر اختياره وبدأ يسعل سعالا اقلقنا طوال الليل واليوم التالي .

وفي اليوم التالي ، عندما جاء الربان لزيارة دان لم يكن يستطيع سماع صوته من سعال هاري فالتفت اليه وصاح به :

ـ انه لسعال سيء ذلك الذي عندك يا عزيزي .

فرد هاري في صوت ضعيف :

ـ انه لا شيء يا سيدي ، انني اعانيه منذ اشهر يا سيدي بين وقت واخر واظن ذلك لاني اعرق كثيرا اثناء الليل .

ـ ماذا ؟ تعرق اثناء الليل ؟

ـ بشكل مزعج يا سيدي ، لدرجة انك تستطيع عصر ملابسي .. اظن ذلك مفيدا لصحتي ! اليس كذلك يا سيدي ؟

فقال الربان وهو يتجه اليه ثم يضع السماعة على صدره :

ـ اخلع قميصك ودعني اكشف عليك .. تنفس بعمق .. لا تسعل هكذا

فقال هاري :

ـ لا استطيع يا سيدي .. سيأتي في الحال .. وعندما يصيبني اشعر انه سيمزقني اربا .

فقال الربان وهو يرفع السماعة عن صدر هاري ويهز راسه :

ـ اذهب الى سريرك في الحال . انه لمن حسن حظك ان تكون في يد ماهرة . اعتقد اني ساستطيع برعايتي وحسن عنايتي بك ان انتشلك من هذا المرض الخطير ... هل افادك الدواء يا دان

فقال دان :

ـ مدهش يا سيدي ! مدهش .. انه ملطف ومهدىء للغاية . لقد نمت امس بعده كطفل حديث الولادة .

ـ سأرسل لك بعضا اخر منه .. عليكما الا تغادرا الفراش انتما الاثنان ولا تقلقا

فردا في صوت خافت ضعيف .

ـ حسنا يا سيدي .

وخرج الربان وهو يوصينا الا نحدث ضجة او شغبا حولهما ... واعتبرنا جميعا ان الموضوع مجرد دعابة اول الامر . ولكن المظهر الذي اضفياه هذان الزميلان على نفسيهما جعلهما يبدوان كمريضين فعلا . ولما كانا قد قضيا طوال اليوم في الفراش فقد كان من الطبيعي ان يأرقا طوال الليل واخذا يتحدثان سوياويستفسران كل عن صحة الاخر واقلقانا معهما ، واخذا يتبادلان حساء لحم البقر والجيلي وحاولدان ان يأخذ قليلا من الخمر من هاري لينشط به دمه ولكن هاري كان يقول له انه هو نفسه لم يجدد دمه بما فيه الكفاية ، وانه سيشرب نخب صحة « بروجنوتس » دان العجوز ثم يمص شفتيه بطريقة تثيرنا جميعا .

ظل هذان الزميلان مريضين مدة يومين فبدأ بقية الزملاء يتشاورون فيما بينهم بعد ان اثارتهم رائحة الحساء بلحم البقر والجيلي والراحة وقرروا أن يمرضوا ايضا فاضطرب المريضان بشكل مخيف وصاح هاري :

ـ انكم ستفسدون الامر علينا جميعا ، ولا تعرفون ماذا تفعلون بدون الكتاب .

فرد احد الرفاق :

لقد قمنا بعملكما كما قمنا بعملنا . والان .. انه دورنا ولقد حان الوقت لتشفيا .

فصاح هاري :

ـ نشفى !! نشفى !! .. لماذا ايها الرفاق الاغبياء ! اننا لن نشفى ابدا ابدا ! ان المرضى بامراضنا لا يشفون .. يجب ان تعرفوا ذلك .

فرد احد الرفاق :

ـ حسن .. سيسمع الربان ذلك

فقال هاري :

ـ اذا اخبرته فاني ساحطم راسك . ولن يشفيك حينئذ كل خمر وحساء العالم اجمع ... ثم .. الا تعتقد ان الربان يعرف ما عندنا تماما ؟

وقبل ان يتمكن الرفيق من الرد كان الربان قد وصل وبرفقته الملازم الاول وعلى وجهه نظرة جعلت هاري يسعل اعمق واشد سعلة في حياته .

فقال الربان وهو ينظر الى الملازم الاول :

ـ ان كل ما يحتاجانه في الواقع هو حسن التمريض .

فرد الملازم الاول :

ـ كم اود ان تتركهما لي امرضهما بنفسي عشر دقائق فقط وساجعلهما يقفان على ارجلهما ويجريان لينقذا حياتهما .. في عشر دقائق فقط .

فصاح الربان في وجهه :

ـ امسك لسانك .. ان ما تقوله غير انساني علاوة على انه اهانة لي . هل تعتقد اني درست الطب كل هذه السنين ولا اعرف حتى متى يكون الرجل مريضا حقا ؟

فتمتم الملازم الاول شيئا ثم صعد الى ظهر السفينة بينما اخذ الربان في الكشف على هاري ودان مرة اخرى وقال إنهما كانا صبورين لدرجة مدهشة بملازمتهما الفراش طوال هذه المدة .. ثم امر بلفهما بالاغطية ونقلهما الى ظهر الباخرة في الهواء الطلق النقي لبعض الوقت .. وفعلا نقلناهما الى ظهر السفينة فاخذا يستنشقان الهواء وهما ينظران الى الملازم الاول من جانب اعينهما ... واذا طلب احدهما شيئا من السفينة كان على احدنا ان يحضره له ثم عدنا بهما الى فراشيهما مرة اخرى .. وقررنا جميعا ان نمرض نحن ايضا .

وفعلا تمارض منا أثنان فقط رغم ان هاري الزميل القوي القبيح قد اقسم ان يفعل بنا جميعا اشياء مخيفة فظيعة اذا لم نبق معافين جميعا ومخلصين ، فنفذنا ما قاله

سوى هذين الاثنين فقد رقد احدهما وهو « مك رافيرتي » يشكو تورما في اضلعه اعلم انا شخصيا انه لديه منذ خمس عشرة سنة ، اما الزميل الاخر فقد اشتكى من الفالج .

ولم ار في حياتي رجلا سعيدا بحق مثلما كان الربان .. اخذ يصعد ويهبط من السفينة ومعه ادويته وعقاقيره وآلامه طوال اليوم، ويدون ملاحظاته في مذكرة كبيرة ويقراها على الملازم الثاني اثناء وجبات الطعام

مر اسبوع وقد اصبح لدينا مستشفى بالباخرة ، وكنت على ظهر السفينة اقوم ببعض الاعمال عندما اقبل الطاهي بوجهه الطويل كالكمان وقال :

ـ مريض جديد .. لقد جن الملازم الاول .

فصحت به :

ـ جـن !!!! ؟

ـ نعم .! لقد احضر اناء كبيرا من آنية المطبخ وهو يضحك كالثعلب واخذ يخلط الحبر والبرافين والزبد وماء غسل الاطباق والصابون وجميع الاشياء مع بعضها .. ان الرائحة تكفي لقتل آدمي ، لقد هربت الى هنا .

وبدافع الفضول ذهبت الى المطبخ واطللت برأسي .. وهناك .. كان الملازم الاول كما اخبرني الطاهي وكل وجهه يبتسم وهو يصب سائلا سميكا لزجا فى اناء حجري على شكل زجاجة . ومر الربان بجوار باب المطبخ فاطل الملازم اول برأسه من الباب وسأله :

ـ كيف حال المرضى المساكين يا سيدي ؟

فنظر اليه الربان بقسوة وقال :

ـ انهم فى اسوأ حال ، ولكني آمل ان يشفوا .. اني سعيد اذ اراك تشعر بقليل من الحنان نحوهم .

ـ نعم يا سيدي .. لم اكن اعتقد ذلك فى اول الامر .. ولكني ارى الان ان كل هؤلاء الزملاء مرضى جدا .. ولكن اسمح لي ان اقول لك اني لا اوافقك في طريقة علاجك .

فانفجر الربان فيه غاضبا :

ـ علاجي .. علاجي . ماذا تعرف انت عنه ؟

فقال الملازم الاول وقد امسك الزجاجة في يده واخذ يربت عليها :

ـ انك تعالجهم خطأ يا سيدي ! ان عندي هنا دواء سيشفيهم جميعا اذا تركتني اجربه ..

ـ مجنون .. دواء واحد يشفي جميع الامراض ، القصة القديمة العقيمة .. ما هو .. ومن اين حصلت عليه ؟

ـ احضرت معي من البر جميع المواد .. انه دواء عجيب اكتشفته جدتي ، ولو امكنني فقط ان اجربه ، فاني ساشفي هؤلاء الرفاق المساكين بكل تأكيد .

فقال الربان :

ـ تفاهات .

وهز الملازم الاول كتفيه وقال :

ـ حسن يا سيدي .. اذا لم تسمح لي فلن استطيع .. ومع ذلك فاني اقول لك اذا تركتني اجرب الدواء فاني ساشفيهم جميعا في ظرف يومين .. والان اعتقد ان هذا عرض عادل ..

وتحدثا طويلا وتجادلا حتى سلم الربان فى النهاية وذهبا سويا الى الرفاق المرضى واخبرهم الربان ان يتعاطوا الدواء الجديد لمدة يومين فقط ليثبت للملازم الاول انه على خطأ .

وعندما بدأ الملازم ينزع غطاء الزجاجة وتتصاعد رائحة الدواء الكريهة قال هاري وهو يقفز واقفا :

ـ دع دان العجوز المسكين يتعاطى اولا .. لقد ساء حاله جدا منذ تركته امس . فرد دان العجوز وهو يسد انفه بيده :

ـ ان حال هاري اسوأ مني جدا يا سيدي ، ولكنها رقة قلبه فقط هي التي جعلته يقول ذلك .

فقال الملازم وهو يملأ ملعقة شوربة كبيرة :

ـ لا يهم من يتعاطى اولا فلدينا كمية وافرة للجميع .. والان .. خذ يا هاري .. خذ هذه الملعقة .

فتناول هاري الملعقة ، ولن اصف الضجيج والمجهود الذين عملهما عليك أن تتصور انه كان يبتلع كرة قدم باكملها ، ومع ذلك فقد التصق نصف الكمية حول فمه واخذ يئن بطريقة محزنة جعلت بقية المتمارضين نصف مرضى فعلا قبل ان يأتي اليهم .

وبالترتيب تعاطى الثلاثة الاخرون نصيبهم .

وجلس الملازم على سطح السفينة وهو يربت على الزجاجة بينما المرضى يحاولون مضمضة أفواههم من المر الذي اعطى لهم . ثم جاء الربان وسألهم :

ـ كيف حالكم الان ؟ وماذا تحسون ؟

فقال دان :

ـ اني أموت

ورد هاري :

ـ وانا كذلك .. اعتقد ان الملازم قد دس لنا سما .

فنظر الربان الى الملازم بعبوس وهز راسه ببطء فقال له الملازم :

ـ كل شيء على ما يرام ، انه هكذا دائما في الجرعات الاثنتي عشرة الاولى ..

فقال دان في صوت واه :

ـ الجرعات الاثنتا عشرة الاول ؟

فقال الملازم وهو يشعل غليونه :

ـ يجب ان يؤخذ كل عشرين دقيقة

فأن الرجال الاربعة معا وقال الربان :

ـ لا استطيع ان اسمح بذلك .. لا استطيع .. لا يجب ان يضحى بارواح الرجال من اجل تجربة

فرد الملازم بكل وقار :

ـ انها ليست تجربة .. انه دواء عائلي قديم .

فقال الربان في حزم :

ـ حسن .. لن يتعاطوه بعد ذلك .

ـ اسمع .. اذا قتلت واحدا من

هؤلاء الرجال سأدفع لك عشرين جنيها .. وعد شرف ساعطيك عشرين جنيها

فقال الربان مفكرا :

ـ اجعلها خمسة وعشرين

ـ حسبن .. خمسة وعشرين .. يمكني ان اكون اعدل من هذا .. حان الوقت لجرعة اخرى . واعطى كلا منهم ملء ملعقة كبيرة بمجرد ان رحل الربان ولم يسمح لهم بأي شيء يتذوقونه قائلا ان ذلك لا يعطي الدواء فرصة ..ونصحنا نحن الرفاق الاخرين بان ننزع الاغراء الذي لم ننفذه في اي وقت .

وبعد الجرعة الخامسة بدا المتمارضون ييأسون وعندما سمعوا ان عليهم ان يستيقظوا كل عشرين دقيقة اثناء الليل ليتناولوا الدواء تخلوا عن التظاهر ، فقال دان العجوز انه يحس بتوقد لطيف يتخلل جسده ويقويه ، وقال هاري انه يشعر بانه رجل جديد ، ووافق جميعهم على انه كان نوعا مدهشا من الدواء .

وبعد الجرعة السادسة اسرع الرجل الذي يشكو من الفالج الى سطح السفينة ، ثم تسلق الحبال الى قمة الصاري وجلس هناك لساعات وهو يبصق ويقسم انه سيحطم راس أي شخص يقاطعه .

وبعد فترة قصيرة ، ذهب « مك رافيرتي » وانضم اليه . واذا لم تكن اذنا الملازم الاول قد التهبتا لسماع الاشياء التي قالها عنه هذان المتألمان المسكينان ، فقد كان يجب ان يلتهبا .

وفي اليوم التالي كانوا جميعا يقومون بالعمل كاملا . ومع ان الربان قد راى الى اي حد كان قد خدع فانه لم يشر الى ذلك بكلمة .. ولكن عندما يحاول رجل ان يجعل اربعة رجال يقومون بعمل ثمانية ، ويضربهم عندما لا يفعلون ، فانه من السهل معرفة من اين تبدأ المتاعب .

القاهرة منيرة عبد الجواد

تـــاريـــح

●

دخلت الى غرفة المـوت ...
وقلبي يدق دقاته العنيفة المتوالية
رايت سريرها خاويا ، فالتفتت كالمجنونة
واذا بها صفراء مسجاة في سرير صغير
مغمضة العينين مفتوحة الفم
بعد ان لفظت النفس الاخير ! ...
مددت ذراعي ، واخذت اصرخ
بدون وعي ، فلا من مجيب ...
النار تأكل اضلعي ، وعلى خدي ادمعي
تعبر عن حزن واسى وفشل مريع ..
تهالكت على جسدها الصغير ،
مقبلة جبينها الذي لم تطرأ عليه بعد
برودة الموت .. لاثمة يديها النحيفتين ..
اواه ، انها لا تتحرك ، لقد اصبحت
قطعة من جماد ، ابنتي الحبيبة الجميلة
التي كانت تطرف بعينيها الزرقاوين
وتحرك يديها بلطف وخفة
وتنظر ذات اليمين وذات الشمال
ولم تحظ الا اياما قليلة في الحياة
تعد على اصابع اليد الواحدة
وتعبر عن حاجاتها بصوت محبوب
يرف لـه فؤادي الف رفة
وقد فتح لها المستقبل كله ذراعيه ...
اصبحت في لحظة سريعة خاطفة
قطعة من جماد لا تحس ولا تشعر
بصيحاتي الولهى النائحة ...
وفي كل يوم ، في الصباح وفي المساء
تتعالى من فؤادي الجريح
صيحات الام المعذبة الثكلى ،
بدون أن يخرج من شفتي
اي صوت ! ......

تونس ناجية ثامر



اغـــانـــي الصبـــــا

مجموعة شعرية ـ لملك عبد العزيز ـ صفحة (؟) ـ «نشر في القاهرة».

اعادت قراءتي لهذا الديوان ايام الشباب ، وما اطيبها من ايام ، ايام كنا نلهو مع الفرفور ، ونمرح على العشب الاخضر ، ونبسم للزهر ، ونطفر مع النسيم ، ونبتهج بجلال الغروب ، ونتحدث الى النجوم ، ونشجى بغناء الكروان . ايام انطلاق الروح وشفافيتها في عالم مادي جهم ، ايام كنا نجد في شعـراء ابولو ، التعبير المخلـص لحالاتنا الشعوريـة .

ففي هذا الديوان اصداء من ابي شادي وناجي والصيرفي والشابي ، وتاثر ببعض صياغاتهم ، مع استقلال في الخواطر والبناء الفني .

فلا غرو اذ عددنا ملك عبد العزيز مريدة روحية لمدرسة ابولو .

وشعرها يغلب عليه النزعة الفنائية ، وقليل منه شعـر تصويري ، وطائفة من قصائدها الاخرى من شعر الذكاء .

اما النزعة الفنائية فتتراوح بين الفناء المنفرد ، والفناء الذي يشترك مع الرقص ، والفناء المتعدد الانغام . فمن مقطوعاتها الفنائية ذات النغم الواحد قصيدتها « نغم » .

فى فؤادي نغم ، حائر مضطرب
فى فؤادي نغم ، ليته ينسكب .

ومن قصائدها الفنائية التي يخيل الى ان موسيقاها اشتركت مـــع حركات الرقص ، قصيدتها « الى امواج النيل » التي جاء فيها :

ارقصي ارقصي
ارقصي عرائسي
ارقصي والبسي
من شعاع الشمس اثواب الذهب !

ومن قصائدها المتعددة النغمات قصيدتها الحرة « ذكرى جواد » وسنتحدث عنها فيما بعد .

اما شعرها التصويري او الشعر الذي نحس فيه الاحساس بالتصوير او النحت ، فهو شعر نادر ، وهو يمتزج بشعر الوجدان ومن شواهده ما جاء في قصيدة « غروب » وبعض فقرات قصيدة « ذكرى جواد » ومن فقراتها المصورة للشهيد في هذه القصيدة الاخيرة :

وفجاة تقلص النغم
رصاصة في صدره تضرجت بدم
الكف فوق جرحه
والكف في السلاح لم تنم
لا لم يهن .

وفى الديوان طائفة من شعر الذكاء ، وهو الشعر الذي يلعب الذكاء فيه بفكرة او رأي ومن شواهد ذلك قصيدتها « طرب الانين » وقصيدتها « حديث الوردة » وقصيدتها «الى السحاب» وهي القصيدة الاخيرة تمثل شعر الذكاء تمثيلا واضحا ، فهي تسائل السحب الى اين ؟ الى امل ، او الى خلود ، او الى سيرورة مجبرة ، حيث تقودها الريح عن غير قصد وفيها تقول :

الى اين تطوي السما يا سحاب
الى اين تعلو الربى والهضاب
الى امل .. ام لوادي الخلود
هوى المجد يحدو لخوض الصعاب
ام الريح ساقتك عن غير قصد
فسرت بغير هدى في الشعاب

وقد يكون هذا النزوع من تاثرها بقراءة العقاد ، ولكنها مسحت هذه القصائد الذهنية بروحها الشعرية ذات الموسيقى السيالة .

وعلى أي حال ، فقد ضاعت هذه اللمحات الذهنية في شعرها الوجداني التاثري وفي شعرها التصوفي ، وشعرها الطبيعي ألذي تناول مظاهر الطبيعة ومشاهدها ـ وابناءها وبناتها ـ

وشعرها الوجداني يتجلى فيه نزعتها الرومانتيكية ، فرارها من الحياة، وظلمها ، وقسوتها ، والانطواء على نفسها ، كما يتمثل حتى في شعرها الواقعي او في قصيدتها الواقعية اليتيمة « ذكرى جواد » حيث يصاحب وجدانها قصة هذا الشهيد .

وتمثل بشعرها الوجداني الرومانسي بقصيدة واحدة « ظلام » والتي فيها تتجمع عناصر النزعة الرومانتيكية ، فرار من الحيـاة ، وانطواء على النفس ، ولواز الى الطبيعة لازاحة الهموم ، وفيها تقول :

بودي لـو اعيش بعقـر نفسـي اسامرهـا وتفعمني ارتياحـا
فـلا ارمى بلـوم مـن ذنيـب ولا القـى مـن الراس امتداحا
اعيش مـع الطبيعة في امـان تظللنـي بآيـات الحنـان
ولا اخشى ذئاب النـاس تعـوي فتحرمنـي اغاريـد الجنـان

ولعل اجمل شعرها شعرها فـي الطبيعة وفى مشاهدها واطيارها وانسامها ، وازاهرها ، ونجومها ،

وخير قصيدتين في هذا النوع من الشعر هما قصيدتا « الجنـاح الابيض » و « غروب » بل لعلهما الدرتـان الباقيتان في الديوان .

ففي قصيدة « الجناح الابيض » اصالة موضوعية ، انها تصور فيها لاول مرة على ما اعرف سرب الطير السابح في الفضاء ، لقد رأينا هـذا السرب ، وتاثرنا بموكبه الساجي ، ولكن احدا من شعرائنا لم يعبر عنه ، وهذا موضع الاصالة في هذه القصيدة التي تقول فيها :

هـز الجنـاح وطر كانداء السحر كغمامةبيضاء كالزبدالجميلعلىالنهر
مـا ابهـج الافـق الفسيح وطلاقـة الحقـل الصبـوح
ووضاءة الماء السبوح

اسرابك البيض الخفوقات الجناح كغلائل الخز الرقيقةاذتعابثهاالرياح
تغـدو الـى الروض الغضير وتحـط فـي الـدوح النضير
كلآلىء البحر العميق

هز الجنـاح وطر كما يهفو الخيال يهفو يؤلقبين اشتاتالمعانيوالجمال
طـف بالمعانـي وبالثـرى طـف بالقصور وبالقـرى
واجمع اهازيج الرواح

وهي كما ترون قصيدة طليقة الاسلوب ، وموسيقاها متماوجة تماثل حركة الطير في سيره الوديع وفي ضربات اجنحتـه ، وتشبيهاتها ومجازاتها ليست للزينة ولا البهرج ، انما هي جزء لا ينفصم من البناء الشعري . ولهذا اميل الى الاعتقاد بانها خير دررها

اما الدرة الثانية من شعر الطبيعة ، فهي قصيدتها « غروب » وهي قصيدة تمزج بين خواطرها عند الغروب ومشاهد الطبيعة والائها وهي قصيدة رفافة متحركة ، تمثل شعرها التصويري صورت فيها خرير الماء وهمسه . وحنان النسيم ولطفه ، وما وقعت عليه عيناها عند الشاطىء البعيد مـن اشباح نخل ، وبيوت ساكنة ناعمة وفيها تقول

وعلى البعد بشط الافق اشباح نخيل
توجتها قمم خضراء من نسج الحقول
وبيوت غارقات في السكون الناعم

غُمست اقدامها في عطر موج فاغم

وبعد هذه اللوحة الصغيرة الجميلة ، تمتزج الشاعرة بخواطرها في هذا الجو الساجي تقول :

وهناك
وسط حضن الماء اشباح جزائر
لفها موج ضباب مبهم الالوان حائر
ناعم كالحلم سحري الخطى
غامض كالوهم عطري الستائر
فتمنيت لو اني غبت في الوهم العطر
خلف استار الضباب الساحر

وتكفي هذه القصيدة الوجدانية التصويرية ، اية مبصرة على موهبة الشاعرة وفنها الشعري البديع

ولا يقل شعرها التصوفي عن شعرها الطبيعي شانا ، ومن شواهد شعرها التصوفي قصيدتها « المحروم » فهي تخلع على المحروم وشاحها الصوفي وتخاطبه قائلة :

انت لن تقوى على غل الزمن
ايها المحروم ما اقسى الحياة
فاستسغ حرمانك المر لكي
تستطيع العيش في هذي الفلاة

وهذه النغمة الشعرية المتصوفة التي عبرت عنها منذ ربع قرن ، لا تفارقها اليوم ، بل انا نجدها تبرز من جديد في اغنيتها الثالثة « الى نجمة الغروب » التي كتبتها عام ١٩٥٨ تقول ، وقد كابدت ضيقا وقلقا ، فتلوذ بالحضرة الالهية :

فقلت « يا رب اليك التجي
اليك احمالي وضعفي الحزين
من ذا يفك الاسر عن مدامعي
سواك يا رحمن
انت يا رحيم
ومن سواك كفه الحنون رحمة
ونوره الرفيق بلسم الجروح
ومن سواك يسمع النداء اذ ابوح
لا ستر بيننا لا باب لا صروح

وتتقلب الشاعرة بين صوفية سلبية آنا وبين صوفية ايجابية آنا اخر ، فتبدو لنا في ثوب الرواقي الذي لا يكترث لقارعة ، ولا يطير فرحا بنعمى ، بل يبدو في خلق الفيلسوف القانع . وآية هذا النزوع نجدها ملموسة في قصيدة « اعصفي يا رياح » وفيها تقول :

اعصفي . اعصفي يا رياح	هات لي الالام من بحر النقم
اصفعيني ثم مري في كلال	وانظريني في ثبات ابتسم
اعصفي . اعصفي يا رياح	واملأي الجو بانفاس التراب
سوف تأتيني بسحب داكنات	فتنقي الجو بالغيث المذاب

ثم تنهيها بقولها :

اعصفي اعصفي يا رياح	هانا وحدي هنا
لن تنالي من ثباتي مغنما	انا اقوى منك يا ريح انا !

ولم تقف الشاعرة عند الاعراب عن خواطرها وعواطفها ، بل اننا نراه في اخر الديوان ، تهزنا بقصيدة يتيمة هي قصيدتها « ذكرى جواد » الشهيد الذي ضرب برصاصة فلم يحفل بجرح ، واندفع الى الاعداء ، يطلق رصاصاته حتى نفدت ، ووقع في اسر الاعداء ، والقوة في قبو مظلم ، وبعد ايام اطلقوه ، مثخن الجراح ، وما يكاد يخطو خطوات حتى يطلق عليه رعديد غادر رصاصة ، فيسلم الروح ، ويلقيه الجبناء في البحر .

وقد بدات الشاعرة هذه القصة الشعرية بدا حزينا ، وسارت في مجراها سيرا متحركا رفافا ، وسايرت النغمات انفعالات في قوتها وخفوتها ، وثورتها وهدوئها ، وفي اخرها تروي ضرب الخونة لهذا البطل الصغير ،. تقول :

فى فجر يوم اسود الالوان
سماؤه تلفها الاكفان
قال الطغاة للبطل
اذهب فانت حر
يا ليته يطيق ان يسير
الجوع والتعذيب لم يترك بجسمه النضير
ثمالة تحمله لافقه الاثير
فجاء جلف من جنودهم غليظ
وجره للشط في خطو وجيز
وفجاة من خلفه رموه
بطلقة من غدرهم اصموه
وفي رحاب الموج اطلقوه

ويتمثل فى هذا القصيد تطور الشاعرة ، في المضمون ، وفي الصياغة ، واحسانها في الصياغة الحرة الجديدة ، ونحسب انها قادرة على اتحاف العربية بدرر مثيلات لهذه الدرة ، واخوات لها سبقت ، وان تتقد اتقادا جديدا للاعراب عن تجاريب المرأة في بيتها وفيحيانها وفى مجتمعها.

اجل ان الشاعرة التي اتحفتنا بثلاث لآليء هي « الجناح الابيض » وغروب ، وذكرى جواد ، هذه الدرر التي تكشف عن اصالة موضوعية ، وصياغة موفقة ، وموسقة اسرة ، في مقدورها ان تتحفنا بتجارب شعرية باقية ، تضعها في الصف الاول بين شعرائنا المجودين المتازين .

واذا كنا قصرنا كلمتنا على احسن ما في الديوان من قصائد ، فذلك لاننا نعتقد ان لؤلؤة واحدة نجدها بين الاصداف العليلة ، هي ذخر ثمين لكل ادب صاعد .

فما بالنا وقد عثرنا على اكثر من لؤلؤة ؟

القاهرة

مصطفى السحرتي

•

باسمة بين الدموع

رواية تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ٣٣٦ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ؟ ـ مطابع دار الكشاف ببيروت

في اقليمنا قصاصون كثر ، ما بين شيوخ اعطوا ثم صمتوا ، وشباب مبدعين ، وشباب ناشئين يسيرون في طريق القصة من سنوات معدودات ولعل خير من كتب القصة السورية من قبل ، ولم يصمت الى اليوم ، وظل يعطي بالسخاء ذاته والابداع والفن ، هو عبد السلام العجيلي .

عبد السلام فنان اصيل ، رفض الزيف الفني حينما اقبل عليه معظم شبابنا ، في غمرة طغيان المذاهب الادبية الموجهة على اختلاف مسمياتها واشكالها . ظل سادرا في اصالته لم يلتو ، يكتب باسلوبه ذاك الذي انطبع عليه قلمه منذ نشاته . وفي عنفوان الظاهرة التي وفدت من سنين وسميت بـ « الالتزام » ، كان العجيلي ينشر بجراة نتاجه الفني الاصيل، مثل قصة « الكاس » ... التي اظهرت لي بجلاء مدى الفارق البعيد بين من يكتب وهو عبد للمذهب مقيد باغلاله ، وبين من يكتب على هوى طبيعته السمحة المنطلقة المتحررة من غير اصالته الفنية الانسانية النابعة من سويداء قلبه .

اذن فالعجيلي اول القصاصين السوريين ، لا ينكر هذه الحقيقة الا المغرور المخدع عن حقيقة نفسه وادبه .

وللقصة القصيرة في اقليمنا روادها الكثيرون ، كل قصاصينا كتاب قصة قصيرة . اما القصة المطولة ، اما الرواية ؟ فقد كتبت ، في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، بشكلها البدائي ... واما بعد الحرب ، فطلعت علينا بعض الروايات المطولة ، التي ان اعوزها النضج ، لهي

مثقلة ايضا بالمذهبية احيانا التي قتلت الفن في تضاعيفها ، رغم ما صاحب بعضها من طنطنة وشنشنة مبعثها اصدقاء صاحب هذه الرواية او تلك، يطبلون اكراما لعينيه وتأييدا لمذهبه !!

على ان عام ١٩٥٩ ، كان عام خير بما ظهر فيه من روايات سورية مبشرة : « باسمة بين الدموع » للعجيلي ، « خمر الشباب » لصباح محي الدين ، « ايام معه » لكوليت سهيل ... فضلا عما نقرأ في اخبار الادب ، من ان عددا من الكتاب عازمون على وضع الروايات ، او انهم فرغوا فعلا من كتابة روايات جديدة .

وهذا ما يثلج الصدر ، ويبعث على السرور ، ويفسح المدى امام الآمال « الروائية » ، التي طالما املناها حينما كانت تفد علينا تباعا من الاقليم المصري ، روايات عربية ناجحة ، نقرؤها ، وتتلفت حوالينا تتساءل عيوننا عن رواية ناجحة نقرؤها لاديب ابن هذا الاقليم المخصاب .

وكذلك فقد اقبل العجيلي ، كبير الروائيين السوريين ، على كتابة الرواية ، فولدت بين يديه « باسمة بين الدموع » .

و « باسمة » البطلة ، فتاة لا يرضى عن سلوكها المؤمنون بالمثل الخلقية. واخشى ما اخشاه ، ان يتسرع هؤلاء ويعلنوا ان القصة : « لا خلقية ».

لذلك اراني مضطرا الى جلاء هذه النقطة التي قد لا تخفى : ان تهافت « باسمة » الذي جر الى تهافت « سليمان عطا الله » البطل الكبير في الرواية ، لا يعني الا شيئا واحدا ، هو حك جوهر هذا البطل الكبير المؤمن بقوميته ، واشتراكيته ، وحزبه المثالي ... وهو الذي طالما انتصب امام شباب هذا الحزب المثقفين‌ماردا ، يخطب على منبره في الوطنية والاشتراكية والمثالية ... وبعدها يهرع الى « سعاد » الراقصة يضاجعها ليله ، والى « باسمة » المدرسة يضاجعها في نهاره واطراف ليله ، والى « سعاد » زوجة زميله وصديقه يغازلها فتراوده عن نفسه ، والى « هيام » ، الطالبة بكلية الآداب واخت باسمة ، يحاول ان يصيب متعة من يديها ... هذا « الصنم » الكبير ، سليمان عطاالله ، الـذي يشغل الاذهان ويملأ الاعين بموافقة العامة النازعة الى المثالية ، كشفت لنا باسمة عن حقيقة حقيقته .. وكاني بها تمد يدها الى صميمه ، لتقول : « هذا الصنم الجميل ، دونكم جوهره ، وكله قشر بعد هـذا ، فلا تصدقوه !

بل ، ان باسمة قد كشفت الحقيقة لصاحب الحقيقة نفسه في الفصل الخامس ، ففطن الى الزيف الذي يحياه امام اهل بلده وفي قرارة نفسه !

ان الابطال السلبيين ليسوا بالضرورة مما يجب ان نستهجنهم . فانما معيار ذلك ، دور هذا البطل السلبي في سياق الحوادث والاحداث ... اهو دور كاشف لحقائق الاخرين ومكشوف عما في طياته ؟ ام هو خادع براق ، يبعث الرضى في نفوس القراء ، ويحضهم على الاقتداء بـه ، ويغريهم بفعل اللاخلقي السلبي ؟

وباسمة كانت مكشوفة، وكاشفة . فهي شخصية سلبية ناجحة اذن.

والرواية ، بعد هذا ، متعة غاية الامتاع ، بما انبث في صفحاتها من نفحات الابداع بعثها في سطورها قلم فنان مطواع . وكـان الاسلـوب رشيقا ، والسرد شيقا ، والموضوع معجبا ... ولعلها اجمع الروايات ، التي قرأت مما كتب ادباء اقليمنا ، للمناصر التي تقوم عليها الروايـة الجيدة . وانت لا تكاد تشعر بالملل ، ولا بالاسفاف ، ولا بالحشو ، وان شعرت بين الفصل والفصل احيانا بالخروج عن المالوف في وصـف المرأة وجسدها وعريها ، مما اكاد انكره على العجيلي ، لولا ان تردني عن الانكار عناصر الخير والفن في تضاعيف الرواية صفحة بعد صفحة .

والعجيلي سماها : « باسمة بين الدموع » .

ولو طلب مني ان اسميها له ، لاقترحت في دعابة : « سليمان بيـن البنات » . فنحن لم نقع على دموع باسمة الا نادرا ، وان انتهت علاقتها به نهاية رومنتيكية ... ولكنا رأينا سليمان عطا الله ، متنقلا بين احضان البنات ، منفردا بعطفهن ، ناعما بودادهن !

ذلك ان العجيلي روى القصة كلها من وجهة نظر هذا البطل ، وان رواها بضمير الغائب لا بضمير المتكلم منعا لحرج محتسب . لذلك كانت الاظلال كلها تلقى على سليمان ، فاستأثر بخالص عناية المؤلف الـذي لم يلتفت الى شخوص الرواية الاخرين الا باعتبارهم واعتبارهن تبعـا لسليمان . لذلك افتقدت شخوص القصة خاصية الكمال الفني ، فـلا نعرف عن عبد الحليم وزوجته ما فيه الغناء ، ولا عـن الدكتور الياس ، وهيام ، الا النزر اليسير ، وقد كنا نستبطن مشاعرهم وهاجسات نفوسهم مـن خلال ادراكات سليمان نفسه .

اما باسمة ، فقد عرفناها فقط وهي تلقاء سليمان ، اما حقيقة عواطفها والامتداد الفني لشخصيتهـا ، فمفقود بالقصـة ، حتى اننا جهلنا اين تقضي ايامها في غياب سليمان عنها ، وما تعمل في ملء فراغها ، لولا ما عرفنا ، في اخر الرواية ، انها مدرسة في احدى المدارس ... وهذا نقص في فنية القصة ، واحسب ان الجناية لم تكن من المؤلف عبد السلام بل من سليمان الذي استأثر بخالص عناية كاتبنا .. ترى ، لم هـذا الاهتمام الزائد بذله « عبد السلام » نحو « سليمان » ؟ !

ولست اعتقد ان هذا عيب في الرواية جوهري ، ذلك ان المؤلـف لعله قد تراءى له ان يسلك ، في عرض شخوصه ، تلك الطريقة التـي تسلك عندما تكتب القصة بضمير المتكلم ... هنالك يكون على البطل الراوي ان يسبر لنا اغوار نفسه من خلال وجهة نظره هو ، وان يستبطن مشاعر زملائه مـن وجهة نظره هو ايضا ... كل ما اختلفت به الطريقتان في هذا الصدد ، ان ضمير الغائب حل محل ضمير المتكلم .

على ان رشاقة المؤلف في سرد الحوادث وعرض العواطف كانت خارقة. واني لم اتصور يوما اني لـن امل من قراءة محاضرة علمية لدكتور طبيب على ملأ مـن الناس . وعندما طالعت الفصل الخاص بمحاضرة الدكتور الياس عن بعض تجاريبه الطبية ، ايقنت ان فيصل الحكم في القضية لا يعود الى المحاضرة ، ما اذا كانت ادبية ماتعة او علمية مملة ، بل الى قلم القاص الموهوب يلعب بالحوادث ويأثر الالباب ... اننا لم نشعر اننا ازاء محاضرة علمية جافة ، لان المؤلف الطبيب الفنان احال محاضـرة الدكتور الياس الى « قصة » شيقة فهمنا من خلالها الشكلـة الطبية موضوع الشرح فهما واعيا ملذا ... وهذا غاية الابداع الفني .

وليحي عبد السلام العجيلي الفنان ، والى اثر اخر جديد اقرب الى الكمـال .

درعـا فاضل السباعي

•

كـان يهوانـي

مجموعة شعرية ــ لخازن عبود ــ تقديم صلاح الاسير ــ الغـلاف والرسوم بريشة اسماعيل شموط ــ ١٢٠ صفحة ــ منشورات المكتب التجاري ببيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة)

ملامح جديدة عذبة تطل ، بباقة ورقة ، من خلال شرائق حريرية ، من صنع عبقر . عندما اطلق « ابولو » روحه في هذا القلب النابض بالحب والحياة ، كان في لحظات ترف وجداني ، كانما كان يستوحي ، هـو ايضا ، من حبيبته ارق الابيات ، ليجعلها ضفيرة فتانة يحلي بها جيدهـا وخصرها .. وموضع الخلخال من القدمين الناعمتين .

هذا هو وجه الشاعر الرقيق ، خازن عبود .

« كان يهواني » .. انك لتقرأ من هذا العنوان وحده قصيـدة حية دافقة بالشعور والعواطف . تتصور صبية حسناء ، حلوة القسمات ، معبرة اللفتات ، اودها السهاد ، والوى بروحها الطريـة الغريرة برح الفراق .. فاذا بعينيها متكسرتا الاهداب ، مقرحتا الاجفان .. بكاء على حبيب هاجر ، هيم جوانحها ، وملك عنان فؤادها ، ثم ولى .. الى البعيد البعيد ، تاركا حطاما من امرأة تردد في حيرة وذهول : كان يهواني ..

فلم غادرني ، وتركني بيد المجهول ؟ ..

ما اجمل الذكريات ، يا « نانار » الغالية ! لا زال « الشاطىء الغربي » يحمل ذكرى اعذب اللحظات واحفلها بالمرح والحب ، والشباب غض اهابه ، حلي رضابه .. والوطن ، والارض العزيزة ، في فلسطين ، كلها ملء القلب ، وملء الروح ، وملء الضمير . ولكنك لم تشائي ان يعل الشاعر الهيمان من كأسك الدهاق ، وفي قرارتها العطر والرحيق ، ويترع من نغباتها العذبة دراكا .. وقد بدأت تعبثين في قدسية ذلك الهيكل الذي شدتماه من دمكما وهواكما الطفل .. لقد ادرك الشاعر ذلك عندما اذقته القبلة الاولى من نار شفتيك . ومن هنا تمزقت تلك الصورة الرفيعة التي اقامها الشاعر في خياله لك .. كان يتوهم ان ذلك فوق المحال . كانت الشهوة الحمراء تضج في كيانك ، فتلهب اعصابك وجسدك .. وهل الحب الا العبث للغواني ؟ !

ثم سددت تلك الضربة القاسية ، فاقصدت بها واصميت . لقد حمل قلبك المتنقل حبا اخر هدد ذلك الحب البكر الذي غذاه قلب الشاعر بشبابه الريان .. فدب اليه الفناء ، ولما ينهل الشاعر من روائه الذاوي ما ينقع به صداه وظماه . لقد كان مخدوعا .. ولكنه كان شاعرا احس ، ولم يحقد لان قلبه انبل من ذلك ، لا يتسع للحقد والضغينة .

اواه ! ما اقسى هذه الجملة ، يا « نانار » !

I love you and I love him at the same time.

انها قصة الشاعر الذي احب ، فتعذب ، فراح يحرق في محراب ذكرياته سنوات الشباب النضير . وفي غيبوبة صلواته وتيهه ، كتب لها .. لـ « نانار » .. هذه الاحرف المغلفة بالعطر والشوق والاسف . انها الماضي .. بكل ما فيه من حلاوة وجمال ، ومرارة وحرمان .. ولكنه عذب ، وهو للشاعر المدنف مدد لا يصفي ، ومعين لا ينضب !

ولكن « نانار » لم تعد ضبابا ، يا صديقي . ولو كانت ، لما كانت قصائدك الرقيقة العذبة . انها ماضيك ، ماضي الشاعر المعذب . وحبك خالد لا تبلى جدته ، فهو في همس الشفاه ، ووشوشات الغصون في الليالي التي تحلم في احضانها النجوم .

سيخلد حبي . الا تذكرين ... دفيف الشفاه ، وشدو النظر ؟
وهمس الحديث على مسمع ... من الليل ، او تمتمات الشجر
وساعة كان الهوى بيننا ... كطفل يعانق احلى البكر
احبك . انت الرجاء الوحيد ... فلولاك مات الهوى واندثر !

ثم يلتفت الشاعر الى ايامه وماضيه ، ويحلم بالعيش الحلو الحبيب ، والقاء العاطر ، ويثق بانه لا بد وسيلتقي مع الحلوة البعيدة

حلوتي ، سوف نلتقي ... دربنا طال ام قصر

ونرجع ، خفافا ، نطوي العصور الى الاندلس : غرناطة ، واشبيليه ، وقصر الحمراء ، والسبيكة ، الى المجد العربي الدارس ، لنقرأ في « اليها » هذا النفس العذب الطلي ، والجرس المحبب المؤنس ، في موشحة عصرية ، والاذن من ابن الخطيب ، وابن ذموك :

قالوا : اتهواها ... ام تلك اوزان ؟
اجبتهم : يا ليل ... والقلب نشوان
ان الهوى ، يا ناس ... وجد وايمان

يا حبيبي ، من ترى يبكي معك ... اي دمع سيجاري مدمعك ؟
كلما مر الهوى في خاطري ... هاجني الحزن لحظ ودعك

اي دنيا هي دنيا الشاعر ؟ واي احلام تلك التي تعشش في خياله المبهم الغامض ، المليء بالاسرار والسحر ، الضارب في مغاور الوحي ، ومهامه الوهم ؟ من هو هذا المخلوق البشري الذي يهزأ من الحياة ، وتهزأ منه الحياة ؟ اي توق عنيف هذا الذي يشده نحو الشرود وفي انطلاقات جامحة عساه يقع على دنيا ملؤها الطيب والشذا والهوى والربيع والنجوم والطبيعة ؟ الا تراه ينشد ذلك الكون الخالد الحافل بالنعيم الابدي ، المفعم بالخير السرمدي .. تغني به العصافير لحونا رقاقا فصيحة متناسقة ، تنساب من قيثارة فنان مبدع اصيل يعزف الى ملهمته ؟ ! الا تراه يسعى الى امانيه وآماله الغالية ، فاذا بها ضباب مبدد ، والوجود سراب لا يزجي الا الشقاء والخيبة المرة القاسية ؟ انه الحلم الاخضر المخضل يموت في امسيات الربيع الكئيبة ، حلم الشاعر الذي يأبى القدر الا معاندته ، ويأبى هو الا ان ينفذ الى الشمس ، رغم الليل والغبار والركود .

عشق الفن فى ربيع نهاره ... وحباه الوجود اكليل غاره
ود لو يفرش الطبيعة ازهارا ... ويكسو النضار كل قفاره
فيفوح العبير يملأ دنياه ... طيوبا كالعطر في ازهاره
وتغني الاطيار فيه لحونا ... صادقات كاللحن في قيثاره
فيرى الكون بعدها في نعيم ... ابدي ، والخير ملء نهاره
حلم الشاعر الكئيب ، ولكن ... غرب الحلم في ربيعاخضراره !

انه الحب ، حلم الشاعر ، ومأوى روحه ، وهو هبة من الله لا ترد ..

هبة الله هي الحب ... وهيهات ترد

واذا ما اطبقت جفنيك المتعبين ، لذة وعبقا ، فلا بأس ان تزغرد مع الشاعر النازح عن ارضه ومنسرح طفولته وصباه ، ارض « نانار » الغالية. اما هو ، فيخاطب امه هذه المرة .. انه الحب الخالد ، اسمى انواع الحب البشري .

لنا الثار ، يا ام ، لا تجزعي ... بليل تعربد فيه الرياح
لنا الثار مهما تمادى العدى ... علينا ، واثخن فينا الجراح
لعينيك ، يا ام ، لا تجزعي ... قريبا سنثار ممن غدر
سنفدي فلسطيننا بالدماء ، ... ونحيا اعزاء بين البشر

اجل ، لنا الثار ، يا اخي .. قريبا نعود الى الارض الحبيبة و « الشاطىء العربي » سنحيا ليوم الثار اللاهب ، ونبني غدنا الميمون الاغر ، في ظل الوحدة والقومية العربية .

صور — **كمال كامل احمد**

● قدمت مؤسسة جون هارتفورد مبلغ ١٩٦ الف دولار لمركز بلفيو الطبي في جامعة نيويورك لتمويل مشاريع ابحاث ترمي الى معرفة الاشخاص الذين هم عرضة للاصابة بالنوبات القلبية . وسيحاول العلماء ايجاد الاجراءات المانعة فضلا عن الاجراءات المعروفة حاليا امثال تخفيف الوزن والاقلال من الدهن والحوامض والاعتدال في العادات المعيشية . وذكرت دائرة الصحة العامة ان ما يعادل ٢٨٫٤ بالمائة من عدد الوفيات في الولايات المتحدة خلال السنة الماضية قضوا نحبهم بسبب الامراض القلبية .

● قدم ثلاثة علماء في سان باولو محاضرة علمية هامة فيما يتعلق بمكافحة البرص في مؤسسة ادولفولوتز . وقد استطاع العلماء زرع جراثيم هانزن في زجاجات وكانت هذه المحاولة تفشل دائما منذ ان اكتشفت جرثومة البرص منذ ٨٠ عاما .

● صنع المنشئون والفيزيولوجيون في مكتب الدراسات بلينفراد الكترونوغراف اوتوماتيكيا لقياس ضغط الدم . والجهاز يمكن استخدامه في العيادة لتشخيص الامراض ومعالجة امراض القلب والاوعية وكذلك لتسجيل الضغط بصورة اوتوماتيكية في اثناء العمليات الجراحية . وبواسطة جهاز برمجة يقوم الالكترونوغراف بتدابير في فترات دقيقة ، تتراوح بين الدقيقة والستين دقيقة .

● اعلن سترلنغ كول رئيس وكالة الطاقة الذرية الدولية في مؤتمر حول الذرة حضره ٣٠٠ من كبار العلماء في العالم ان الاشعاعات الذرية في العالم تتراكم بمعدل ١١ مليون غالون في العام على الرغم من ان صناعة الذرة لا تزال في دور الطفولة .

● ان الافراط في تعريض الجسم لاشعة الشمس ولا سيما في حمامات الشمس ، قد يؤدي الى الاصابة بنوبة قلبية او جلطة دموية . تلك هي نتيجة الدراسة التي قام بها اثنان من كبار اطباء امريكا هما الدكتوران جون هام والتون بول ، وقد اثبتت ان الحرارة الشديدة يمكن ان تحدث تغيرات في الخواص الطبيعية والكيميائية للدم ، وهذه التغييرات تسبب بطء الدورة الدموية مما ينتهي الى تكوين الجلطة . وقد لوحظ ان الاصابات بالجلطات والنوبات القلبية تزداد في شهري يوليو ، واغسطس .

● اعلنت جمعية السرطان الاميركية ان العلماء الاميركيين شاهدوا وصوروا لاول مرة فيروسات الشلل داخل الخلايا الحية التي تتكون فيها . وهذا العمل الباهر القى ظلالا خطيرة من الشك على الافتراضات السابقة بشان مسلك العضويات الصغيرة

في كلمات ...

الخطرة . وقد قام بهذا العمل اثنان من موظفي وزارة الصحة بواسطة ميكروسكوب ايلاكتروني وهو جهاز التقطت بواسطته في الماضي صور لفيروسات معزولة للشلل . على انه حتى الان لم يتمكن احد من مشاهدة هذه الفيروسات في الخلايا الحية التي تتكون فيها . واظهرت الصور ان الفيروسات تتكاثر في الخلايا المحيطة بالنواة وليس في داخل النواة نفسها كما كان يظن في الماضي وهذه الحقيقة يمكن ان تلقي ضوءا جديدا على كيفية انتقال عدوى الفيروسات نظرا الى ان التركيب الكيماوي للنواة يختلف كثيرا عن تركيب المنطقة المحيطة بها كذلك اكتشف العلماءان فيروس الشلل يتكاثر بسرعة جنونية . فالفيروس الواحد يفرغ حوالي مائة الف وحدة خلال دقائق قليلة . وهذه الوحدات من الصغير بحيث ان مليون واحدة منها لوصفت جنبا الى جنب لما زاد طولها عن بوصة واحد . وربما مكن المزيد من الدراسات الحصول على معلومات عن كيفية تطور عدوى الفيروس وربما ايضا امكانية الحيلولة دون انتشارها . ويحاول العلماء الان اخذ صور لكيفية تكوين الفيروسات داخل الخلايا .

● يؤخذ من دراسة اجريت على ٢٥٢ رجلا ونشرت في وشنطن ان ضعف عنصر الذكورة في الرجال الذين يدخنون بكثرة اشد منه في غير المدخنين او القليلي التدخين . فقد قال الدكتور كارل سلتزر في مقال نشره في مجلة « العلم » ان دراسة اجريت لمدة سنة على فريق من الطلبة السابقين في جامعة هارفارد اظهرت ان هناك ارتباطا وثيقا بين عادة التدخين وعنصر الذكورة . وذكر ان ضعف هذا العنصر في المدخنين اشد منه في غير المدخنين او في القليلي التدخين . وقال انه ربما اجريت دراسة يعرف بها هل يختلف المدخنون عن غير المدخنين في تعرضهم لمرض سرطان الرئة وامراض القلب ام لا .

● ابلغت طبيبة رومانية بدرجة بروفسور هي انا اسلان وتبلغ من العمر ٦١ عاما ، ٢٠٠ طبيب في لندن ان الشيخوخة تعتبر مرضا يمكن معالجته مثل اي مرض اخر . وقرأت الطبيبة الرومانية محاضرة حول نتائج حصلت عليها من حقن عقار يدعى « هـ — ٣ » . وشرحت محاضرتها بصور تبين الاختبارات التي اجرتها على مرضى في وحدة طب الشيخوخة التابعةلجامعة بخارست . وقالت الطبيبة ان المعالجة بمادة « هـ — ٣ » قد خففت من نسبة الوفيات بشكل دراماتيكي بين الناس العجز ومتوسطي العمر الذين كانوا يعانون من امراض جلدية وعصبية وقلبية وكذلك من امراض الشرايين والروماتزم . وزعمت انها اعادت الشباب الى الناس العجز في وحدة طب الشيخوخة في بخارست وحسنت مظهرهم وكذلك صحتهم . واعيد الشعر الرمادي والابيض الى لونه الاصلي . واضافت تقول ان العقار ساعد ايضا الشباب والمسنين من الناس على مقاومة الانفلونزا الاسيوية في غضون السنتين الماضيتين .

● ما هو العجز ؟ هذا هو الموضوع الذي عكف على بحثه الاختصاصيون بالشؤون الطبية والاجتماعية في مدينة ليون بفرنسا . وقد تحدث البروفسور بورلبير ، من باريس عن اهمية المحيط الذي يعيش فيه الرجل المسن ، وخاصة في ما يتعلق بغذائه من ناحية الكمية والنوع . اما الدكتور جالبيه من مدينة ليون ، فقد اشار الى ضرورة القيام بتمارين رياضية للتنفس ، كما تحدث البروفسور دولور عن ضرورة الاسراع في تعليم الجمهور وارشاده وخاصة بعد الاربعين عاما .

● اقراص جديدة لتخفيف الام الذبحة الصدرية ذات اثر طويل المدى ، يكفي قرص واحد منها لليوم باكمله ، بدلا من الاقراص التي يؤخذ منها الان عدد يتراوح بين ١٠ اقراص و ٢٠ قرصا في اليوم . وقد اعد الاقراص الجديدة الدكتور لين بويد واطلق عليها اسم نيتروجلين . ويكفي ان يتناول المريض قرصا في الصباح واخر في المساء فيظل مفعولهما مستمرا في مجرى الدم طوال الليل والنهار .

وقد توصل الدكتور فردريك شتايجان بشيكاغو الى انتاج اقراص ذات مفعول مماثل لكافة الحموضة في المعدة للمصابين بالقرحة ، يكفي تناولها مرتين في الصباح والمساء واطلق عليها اسم « سيبستاب » .

● تمكن العالم الياباني متسويوسكي مدير معهد الصحة العمومية بجامعة سنداي من وضع خريطة للسرطان وانتشاره باليابان . ودلت هذه الخريطة على نتائج مفيدة فهناك جهات يقطنها عدد كبير من المرضى يذهب اغلبهم ضحية هذا الداء . وهناك جهات تكاد تكون خالية من السكان الذين يشكون مرض السرطان . ترى لماذا هذا التباين . لقد تمكن البروفسور توكورو ساتو من معهد الدولة للكيمياء الغذائية من حل هذا اللغز اذ اكد انه توصل الى نتيجة مفادها ان ملح الطعام هو سبب مرض السرطان وتغلغله في المعدة . ومعلوم ان اليابانيين يستهلكون كمية وافرة من الملح وان عددا كبيرا منهم يرش هذه المادة على الفواكه قبل اكلها هذا بقطع النظر عن كونهم يستهلكونها مع الارز والسمك ولدى

خريطة السرطان ان الجهات التي يكثر فيها السمك والخضر بأثمان زهيدة لا تحتوي على كثير من المرضى بخلاف الجهات الاخرى التي يضطر قاطنوها الى حفظ هذه المواد الغذائية بواسطة الملح فانها تضم عددا ضخما من المرضى .

ومما يذكر بهذه المناسبة انه سبق للاديب ان نشرت رأيا مماثلا لاحد علماء الطب الاتراك الذي لاحظ انتشار مرض السرطان في الاماكن التي يعتمد سكانها على اكل انواع الاسماك المحفوظة بالملح بعكس الاماكن التي يكثر فيها السمك الطازج فان الاصابات بالمرض قليلة .

● اجرى العلماء الامريكيون تجربة تبادل فيها الدماء رجل عاقل واخر مريض بالشيزوفرينيا (انفصام الشخصية) . فكانت النتيجة المذهلة ان ازداد الرجل العاقل رجاحة وازداد المريض العقلي « هلوسة » .. وكان العلماء يتوقعون ، على العكس ، ان توقف دماء الرجل العاقل هلوسة المريض ، او ان تنقل دماء المريض عدوى المرض العقلي الى العاقل.. فقد كان المعتقد ان خللا كيميائيا يطرأ على الجسم فيولد مادة سامة ستتسبب في مرض الشيزوفرينيا ، الذي لم يعرف له سبب محدد حتى الان ، ومن ثم لا يعرف له علاج ناجع .. اما الان فان العلماء لا يدرون هل قوت المادة السامة « عقل » الرجل العاقل ، ام هل تسمم الدم النظيف في الرجل المريض فزاده مرضا !!

● صدر تقرير من رابطة تطوير الابحاث العلمية في بريطانيا جاء فيه انه ربما حلت فئة جديدة من العقاقير الطبية محل البنيسلين وتعرف هذه الفئة باسم سيفالوسبورينز . ولقد اعطيت التفاصيل عن الجهود التي بذلت لابتكارها . وتوصل الخبراء الى عزل عقار مبيد للجراثيم من هذه الفئة يعرف باسم سيفالوسبورين ث . وهو ذو خصائص شبيهة بخصائص البنسلين بيد انه يقاوم بعض العوامل والعناصر التي قد تجعل البنسلين المعروف دون مفعول . لذلك من المأمول ان يستخدم عقار سيفالوسبورين ث. او احد مشتقاته في الحالات التي يبدو فيها البنيسلين غير فعال .

● منذ ١٣ سنة قام الدكتور زكي اسكندر مدير المعمل الكيماوي بالمتحف المصري بتحليل عينات من مركب التحنيط الموجود في توابيت الفراعنة وعرف المواد التي يصنع منها ومقاديرها النسبية . وصنع المركب بنفسه ، وحنط به مجموعة من الطيور ، وحفظها ، ولم يقل لاحد . وظل يلاحظها كل بضعة ايام ويطمئن على انها لم يصبها التعفن ، حتى مر عليها ١٣ سنة دون ان تتعفن . وفي الشهر الماضي اتصل بمستشفى قصر العيني بالقاهرة وطلب اعطاءه جثة من جثث الموتى الذين لا اهل لهم لتحنيطها وحفظها في صندوق ، وكتابة سر التحنيط ووضعه بجانبها . وترك الصندوق

٢٠ سنة او اكثر ، ليفتح بعد ذلك ، للتأكد من النتيجة التي وصل اليها

● اعلن المجلس البلدي في لندن ان سقوط الغبار الذري فوق مدينة لندن قد ازداد كثيرا منذ اجراء الانفجارات الذرية التجريبية في خريف عام ١٩٥٨ . وقد علم ان الغبار الذري الذي اكتشفته المصالح البلدية ناتج عن الانفجارات الذرية التي اجرتها الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي خلال السنة الماضية . ورفض الناطق باسم المجلس البلدي ان يعطي اية ارقام لكنه اوضح ان الغبار الذري الذي تساقط كان اكثر بالنسبة للسنوات الماضية

● قالت جريدة هندوستان تايمز ان في وسع الهند الان صنع قنابل واسلحة ذرية . وقالت ان الدكتور هومي بهابها ، رئيس هيئة الطاقة الذرية الهندية ، اعلن ذلك في اجتماع غير رسمي للجنة الاستشارية للبرلمان الهندي

● تشترك ١٠٠ شركة اميركية تعنى بتوليد الطاقة الكهربائية بوضع التصاميم اللازمة لصنع وانشاء ٢٦ فرنا ذريا لتوليد الكهرباء . وذلك ليجعلوا من القوة الكهربائية الذرية قوة تستطيع ان تنافس الكهرباء العادية التي تولدها مواد الوقود العادية المألوفة .

● في مدة لا تتعدى ١٠ سنوات سيصبح في مقدور القوة الكهربائية التي تولدها الطاقة النووية ان تنافس في جميع انحاء العالم القوة الكهربائية التي يولدها الفحم والزيت هذا ما يراه الدكتور برنارد سبينراد ، احد العلماء العاملين في مختبرات ارغون الوطنية واذ ذاك يصبح في الامكان الاقتصاد بوقود الفحم الحجري الذي لا يزال يلعب دورا بارزا في اقتصاديات العالم .

● وضع مهندسو شركة فورد نموذجا لسيارة المستقبل الذرية ، تحتوي على صندوق خاص للقوى المحركة ، وقد وضع القلب الذري في مؤخرة السيارة ، حيث يمكن اعادة شحنه كلما فرغ الوقود الذري . وقد اطلق على هذه السيارة اسم نيوكليون

● تم تدشين اول محطة لتوليد الكهرباء تدار من بعيد بواسطة الهاتف . واديرت من مدينة بريستول بانجلترا ، ويعتقد انها الاولى من نوعها في العالم . اذ تقوم (تبلغ قوتها ٣ ملايين واط) في برنستاون على بعد مئة ميل من بريستول . ونظام هذه الادارة البعيدة عبارة عن جهاز الكتروني معقد بامكانه ان يدير مولدات المحطة بادراة جهاز هاتفي يجعل المولدات تباشر عملها . ولا يشرف على هذه الادارة مسؤولون او موظفون بل تجري بصورة تلقائية ودون رقباء . وهكذا يمكن ان تعمل هذه المحطة لتوليد الكهرباء ساعة حدوث خلل او عطب طارىء في محطات المدينة او ساعة تبرز الحاجة الى المزيد من الطاقة . وهي تصل الى قمة انتاجها بعد مضي دقيقتين ونصف الدقيقة على ادارتها كما باستطاعتها ان تعمل مدة اصلاح او تنظيف . وقوة محركاتها ٤٢٥٠ حصانا وهي تقوم على الغاز الطوربيني .

● صنع ف . خارمانوف المساعد العلمي في معهد الفيزياء الزراعية اجهزة من اشباه الموصلات سماكتها مليمتر واحد تقريبا لقياس درجة حرارة الهواء ودرجة رطوبته . وبفضل هذه الاجهزة لاحظ مصادفة وجود ما يشبه الافعال المنعكسة المشروطة او تكون « العادات » لدى النباتات . فبواسطة الاجهزة توصل النبتة الانارة او توقفها اوتوماتيكيا عندما تتطلب ذلك العمليات الداخلية التي تجري في النبتة ذاتها . فالنبتة « تختار » اذن بمفردها شروط الانارة التي تلائمها .

● استطاع العالم الياباني شيجيسوكي هوريوشي ان يحيل لون اللآلىء من البياض الى السواد بتعريضها لاشعة النيوترونات . والمعروف ان اللآلىء السوداء توجد احيانا في الطبيعة ، ولكن هذه هي المرة الاولى التي امكن فيها تحويل لون اللآلىء الى السواد صناعيا .

● تمكنت الشركة الدولية لصنع الماكينات بالتعاون مع الدار الاميركية للنشر الخاصة بكتب العميان من استنباط عداد الكتروني جديد لنقل الكتب والمقالات بحروف برايل النافرة المستعملة للعميان وهي حروف بارزة تتالف من مجموعة من النقط موضوعة على اشكال خاصة يقراونها بامرار اصابعهم عليها . والجهاز الجديد يستطيع ان ينقل الى حرف برايل النافر كتابا يضم ٣٠٠ صفحة بساعة واحدة بينما العمل ذاته يقتضي مترجما باهرا بحروف برايل ستة ايام عمل واكثر .

● اعلن يوجين راسل رئيس شركة ابحاث الالكترونات وتطويرها في تامبا ان الشركة توصلت الى اختراع الة تستطيع توليد الكهرباء من الضجة . وقال ان الاختراع الجديد سيحل محل مولد الكهرباء في السيارة واضاف ان هذه الالة تستطيع الافادة من ضجيج السيارة في توفير قوة كهربائية تكفي لاضاءة انوارها وتكييف الهواء ، وكل ما تحتاج اليه السيارة ، باستثناء بدء انطلاقها

● استطاعت شركة لوكهيد الاميركية لصنع الطائرات من صنع طائرة نقل تدعى « طائرة هرقل الجبارة » هي اكبر طائرة من نوعها للنقل في العالم . وباستطاعتها في المسافات المتوسطة ان تحمل شحنة من البضائع تبلغ ٣٥ الف كيلو غرام او ٣٩ طنا ، بحيث لا تزيد نفقة الشحنة عن ٤ سنتات للطن الواحد في الميل الواحد . اما في الطيران الطويل المدى عبر المحيط الاطلسي فباستطاعتها نقل ٢٥ طن من المشحونات فاذا ما زودت الطائرة بمستودع اضافي للوقود استطاعت ان تنقل ١٦ طنا من المشحونات لمسافة ٥٥٠٠ ميل (٨٨٠٠ كلم) اي انها تقطع المحيط الهادي من سان فرنسيسكو الى اليابان دفعة واحدة بدون توقف . اما معدل سرعة الطائرة للمسافات القصيرة فهي ٤١٤ ميلا (٦٦٦ كلم) في الساعة بينما هي ٣٧٠ ميلا (٥٩٥ كلم) للمسافات الطويلة .

● اخترع روبرت ماكيلور المهندس بديترويت عجلة جديدة لقيادة السيارات ، تسقط بعيدا عن صدر السائق اذ ارتمى عليها جسمه عند وقوع حادث للسيارة وبهذا ينجو من الاصابات الخطيرة التي تصيب اكثر السائقين بسبب اصطدام عجلة القيادة بضلوعهم .

● تمكنت شركة انكليزية من صنع الة دائرية الشكل بحجم راحة الكف وتعطيك الجواب بصورة اوتوماتيكية على حسابات معقدة ، كتحويلات العملة ! يمكن استعمال الالة دون حاجة الى خبرة سابقة . ولها بضع وسائل مدهشة منها جدول متقابل لانجاز عمليات الضرب والقسمة بسرعة . وللالة ثلاثة اقراص تدار لحل العمليات المختلفة . وبعد ادارتها تجري الحسابات بصورة اوتوماتيكية . وبلغ من دقة هذه الالة وسهولة تشغيلها انها تعد حاسبة قيمة جدا في الاعمال التجارية في مكاتب المهندسين والمعامل ولحساب الاميال التي يمكن للسيارة ان تقطعها بلتر واحد من البنزين . وفيها معادلات لتمكين الفنيين من استخلاص التربيعات والجذور والمكعبات وغيرها .

● ينوي الاخصائيون السوفياتيون في علم الراديو الكترونيك صنع مجهر (ميكروسكوب) تلفزيوني يكبر الاشياء بين ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ مرة ، في حين ان المجهر البيولوجي العادي لا يكبر اكثر من ١٥٠٠ مرة . وحساسية انبوبه المهبطي ستعادل تقريبا حساسية العين البشرية

● اعلن عاصم التاجي مدير دائرة الاثار في عمان ان علماء اميركيين واردنيين سيقومون باعمال تنقيب واسعة النطاق في منطقة البحر الميت بحثا عن مدينتي سدوم وعمورة اللتين ورد ذكرهما في التوراة . وكان وليام ف . اولبرايت ووليام فوكسويل ، وهما عضوان في المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ، قد عثرا اخيرا على قطع من الخزف بالقرب من الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الميت ، يعتقد انها تعود الى عصر سدوم سنة ١٩٠٠ ق.م. . وادعى بعض البدو بانهم شاهدوا اثارا قديمة جدا تحت البحر الميت في المنطقة ذاتها ، كما ذكر بعض الطيارين الاردنيين انهم

شاهدوا اثارا واشجارا تحت الماء وهم يطيرون فوق البحر .

● عثرت بعثة التنقيب العلمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية علـــــى مصنع للادوات والاسلحة من الحجر يعود تاريخه الى ٥٠٠الف سنة . وجاء في رسالة وردت من البعثة انــه عثر على ادوات شحذت بدقة بحيث يمكـــن استخدامها في تقشير الفواكه . وتتالف البعثة من ٤٥ رجلا برئاسة هنري لوت ، وقد عثـرت على عظام واثار مدينة قامت في الصحراء قبل ٦٠٠ الف سنة . كما عثرت على بقايا نهـــر يبلغ في حجمه حجم نهر الراين او نهـر الرون .

● يتبين من الدراسات والارصاد العلمية التي قام بهـا العلماء بواسطة مرقب جبـــل بالومار في جنوبي كاليفورنيا ، وهو مرقـــب قطر عدسته ٢٠٠ انش، ان الكون الذي امكن رصده يجب ان يزاد من ٥ الى ١٠ اضعـاف عما قـــدر له مـــن قبل . والمرقب المذكور يكبر مرتين اكبر مرقب فى العالم . وقد جرى صنعه وتركيبه في مدة عشر سنوات .

● صنع علماء معهد الكهرميكانيك باكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي جهازا طريفـــا لتضبيط الادوات الفلكية ميكانيكيا . وهـــذا الجهاز الذي اطلقوا عليه اسم الـ « دليـــل الضوئي » يتتبع تنقل النجوم من تلقاء ذاته ويسدد المرقـــب الـــى الاتجـــاه المطلـــوب . « والدليل الضوئي » يتضمن جهـــازا يتاثر باشارات النجوم الضوئية . ان الشحنـــات الكهربائية التي يتم الحصول عليها بهذا الشكل تسدد ، باستمرار ، وضع المرقب الذي يبدو وكانه مشدود الى الاجرام السماوية التـــي تراقبها بخيوط غير مرئيسة . وعمليات الرصد التي تمت بواسطة الـ « دليل الضوئي » اعطت نتائج جيدة وسمحت بالحصول على صـــور اشد وضوحا واكثر بروزا .

● اسفرت عملية اطلاق عالمين داخل منطـــاد كبير على ارتفاع ٨١ الف قدم عن التقـــاط بخار الماء ضمن غلاف الغيم الكثيف الـــذي يلف كوكب الزهرة . وفي مؤتمر صحفي عقده العالمان في وشنطن اعلنا ان مهمتهما تكللـــت بالنجاح التام . وسئلا عما اذا كانت نتيجـة ابحاثهما تثبت امكانية وجود مخلوقات حيـــة فوق كوكب الزهرة فاجاب الدكتور جـــــون سترونغ استاذ الفيزياء التجريبية في جامعة جون هوبكنز ان الموضوع ليس موضع البحث العام . واضاف انه يجري الان هو وزملاؤه ابحاثا استقصائية فقط . وقد حمل المنطـــاد منظار تلسكوب قطر عدسته ١٦ بوصة وجهازا لتتبع النجوم ابقى التلسكوب موجها نحـــو الزهرة بدرجة كبيرة من الاتقان . وامكـــن تحديد الجو الرطب في الكوكب عن طريـــق تحليل الاشعة دون الحمراء المنعكسة مـــن الغيم وقد تبين ان الغيوم امتصت نفس الموجات دون الحمراء التي يمتصها بخار الماء على الارض .



جولة ادبية فى الاردن

فى الاردن اليوم نهضة ادبية وفنية ملموسة . واثناء زيارتي للقطر الاردني ، وقفت على تلك النهضة ، بعد اجتماعي بالاديبين الاستاذين عيسى الناعوري ومحمود سيف الدين الايراني ، المفتش في وزارة التربية والتعليم في عمان ، وبالفنانة الموهوبة الانسة فاطمة المحب

فعيسى الناعوري اديب عربي معروف . انه من الوسط الذي يقدر صناعة الحرف ، ويؤمن بماهية العطاء . والكتب التي وضعها قبل نكبة فلسطين وبعدها تدل على سمو في العطاء ، وقدرة في الابداع .

اما الايراني فانه واحد من القصاصين الذين ادفقوا على القصة العربية المتانة والسهولة في الاسلوب ، والتشابيه الحية في المعاني المستمدة من صلب البيئة العربية . فضلا عن انه بحاثة قدير .

وفى مدرسة الفن الاردنية ، تحتل فاطمة المحب الصدارة . فاللوحات التي رسمتها يدها الرشيقة جعلت منها فنانة تتحدث عنها الاوساط الفنية

وقد اغتنمت فرصة لقاء الاديبين الكبيرين والفنانة الموهوبة وسجلت لهم هذه الاحاديث الشائقة التي انقلها لقراء « الاديب »

١ ـ مع محمود سيف الدين الايراني

س ـ ما رأيك بحركة الادب العربي المعاصر ؟

ج ـ لا ريب في ان الادب العربي المعاصر لا ينفك ينمو ويتطور ويتكامل، ولا ريب كذلك في ان حركته اكثر نشاطا وحيوية في العشر السنوات الاخيرة منها قبل ذلك . ومع هذا فان المفكر سرعان ما يلحظ ان الغث في انتاجنا الادبي يختلط بالسمين ، وان القيم الادبية الرفيعة لا تزال بحاجة قوية الى التركيز والتوضيح على افضل وجه مستطاع . ولعل هذا الاضطراب في القيم الادبية الرفيعة يعود الى انعدام « النقد » الذي كنا نتمنى ان يواكب الحركة الادبية . وفي رأيي ان النقد الصحيح ، وحده ، هو الذي يقرر تلك القيم ، ويمكن لها في حياتنا الادبية ، وهو الذي يسعه ان يحول دون اختلاط الانتاج الغث بما تجود به قرائح المبدعين من شعراء وقصصيين وغيرهم . والنقد الذي اشير اليه يقوم على اصول وقواعد حديثة تتطلب دراسة عميقة ، واستعدادا طيبا ، ثم انقطاعا له ، واختصاصا به . ولولا النقد القوي الممتاز في اروبا لما امكن ان تتميز الاثار الادبية الجيدة من غيرها ، ولما اتيح لنوابغ الادب ان يظهروا او يحتلوا المنزلة الرفيعة التي تليق بهم .

س ـ هل تحبذ الرمزية في الادب ؟

ج ـ الرمزية كما افهمها انا مذهب ادبي عرفته اروبا . انه مذهب من مذاهب اخرى متعددة ، وقد اقتضت ظهوره عوامل كثيرة لا محل لذكرها الان ، غير ان المذاهب الادبية ـ او المدارس الادبية كما يسمونها تدل على الحيوية ، كما تدل على الرغبة في تبديل اساليب التعبير والاداء خضوعا لوجهات نظر معينة قد تمليها عوامل اجتماعية او اقتصادية . وعلى اي حال فانها ضرب من التطور وتلمس مسالك جديدة في معالم الادب . والرمزية كمذهب او كمدرسة سبقتها مذاهب ومدارس واتت بعدها مذاهب ومدارس . فاين نحن من هذا ؟ والرمزية في حد ذاتها كثيرا ما تتشعب فتصل الى حد الاغراق في الغموض ، وعندئذ تغدو في نظري عديمة القيمة . وهناك رمزية احب ان اسميها الرمزية المعتدلة واحسب ان احسن من يمثلها في اروبا الاديب البلجيكي المعروف « موريس ماترلنك » ، كما ان خير من يمثلها في ادبنا العربي « توفيق الحكيم » . هذه الرمزية معقولة ومقبولة .

س ـ ما هي الاسباب التي حملتك على معالجة القصة وكيف تفسر حركة القصة في العالم العربي ؟

ج ـ انا اعالج القصة كما اعالج المقال والنقد . ولعلي اجد مجال التعبير في القصة ارحب من غيره . وقد يكون لدراساتي الطويلة للادب القصصي في اروبا وغير اروبا اثر في ذلك غير قليل ، ولكن يجب ان اضيف الى هذا استعدادا فطريا منذ الحداثة . اما حركة القصة في العالم العربي فمما لا شك فيه انها تبشر بخير كثير . غير اني ارى ان هناك كثيرين يعالجونها وهم ليسوا من اهلها . والتبعة في هذا تقع على الصحف والمجلات ودور النشر ، فهي التي يجب ان تتولى الرقابة في هذه الناحية فلا تنشر ولا تشجع غير الاكفاء ، او الذين يتوسم فيهم الخير . ان السوق الادبية مليئة باتفه القصص . وضميرنا الادبي يجب ان يحول دون ذلك .

س ـ ما هي اقتراحاتك للنهوض بالقضية الادبية ؟

ج ـ اول ما يتبادر الى ذهني : انشاء دار عربية كبرى للنشر ، تشترك فيها البلاد العربية ويتولى امرها او امر مراجعة الكتب التي تقدم اليها نخبة ممتازة من الادباء والنقاد والمفكرين فلا يجيزون غير القيم الذي تتوفر فيه خصائص الادب الرفيع والفكر العميق . ولست ارى ما يمنع دون قيام هذه الدار اذا وجدت النية الطيبة والرغبة الصادقة . وارى ايضا ان يوجه طلابنا في مختلف مدارسهم ومعاهدهم توجيها نافعا لقراءة كتب الادب ، وان يعمل الذين يوجهونهم على غرس حب « الكتاب » في قلوبهم واذهانهم . ومن هؤلاء الطلاب الموجهين توجيها صحيحا يتكون « الجمهور » القارىء الذي نفتقر اليه ، والذي يهمه ان يكون في كل بيت مكتبة تقوم الى جانب « الثلاجة » و « الغسالة » وجهاز التلفزيون او الراديو . المكتبة مفقودة في بيوتنا اليوم ، وما لم نغرس في قلوب واذهان ناشئتنا حب الكتاب فلن تقوم للادب والفكر عندنا قائمة .. واعتقد ان فى هذا ايضا جوابا عن السؤال الذي جاء فيه : لماذا لم يتوصل اديب الضاد الى العيش من ريع مؤلفاته .

س ـ ما رايك بالمجلات الادبية في العالم العربي ومن هي في نظرك صاحبة مدرسة في الادب ؟

ج ـ المجلات الادبية في العالم العربي قليلة ، بل نادرة الوجود . وانا اعجب لمجلة كالاديب كيف تستطيع ان تستمر وحولها مجلات الاغراء ... وعلى اي حال فان الاديب وبعض المجلات الاخرى القليلة تحاول ان تقوم بالعبء وحدها .. وكان الله في العون .. ويبدو لي ان الادب ، من قصة ومقال وقصيدة ، يجد مجالا في المجلات التي تعني ايضا بالسينما والريبورتاجات والراقصات والفضائح .. غير انه ادب ضائع ، مسكين ، لانه في غير موطنه ، وغير بيئته . هذه هي الحال . ومن هنا ترى عدم جدوى السؤال عن المجلة صاحبة المدرسة في ادبنا . واحب ان اسالك انت او اسال الاديب نفسها : هل عندنا مجلة واحدة تشبه مجلة « لا نوفيل ريفو فرانسيز » ؟ او « لا تابل روند » او حتى كمجلة « اوروب » التي كانت تصدر في باريس قبل الحرب العالمية الثانية ؟

٢ ـ مع عيسى الناعوري

س ـ هل الاديب مرآة عصره ؟

ج ـ الاديب قائد عصره وموجهه ، اكثر مما هو مرآة عصره ، فالمرآة تبرز القبح كما تبرز الجمال ، ولكنها لا تستطيع ان تعالج القبح لتحوله الى جمال ، ولكن قلم الاديب هو الذي يفعل ذلك ، كما تفعله ريشة الرسام ، وازميل النحات ، وانامل الموسيقي . ولو اكتفى الاديب بان يكون

مجرد مرآة لعصره لما كان لعمله اثر ولا قيمة ، الا قيمة الطلل والاثر الدارس ، لدى الاجيال اللاحقة ، ولدى جيله نفسه .

س ـ هل الادب هوية ام صناعة ؟

ج ـ ليس الادب صناعة باية حال ، وهو في مفهومه الانساني الراقي ليس مجرد هواية كذلك ، بل هو « عمل حياة » . اما عندنا ـ في البلاد العربية كلها ـ فلا يستطيع ان يكون اكثر من هواية . والاسباب كثيرة ، لا تتيح للاديب حظا من التفرغ للادب ، ولو تفرغ له لما استطاع ان يكسب رزقه بشكل يحفظ له كرامته .

س ـ هل يجوز لاديب الضاد ان يبتعد عن الثقافة الغربية ؟

ج ـ ليست في الدنيا اليوم ثقافة خالصة لشعب من الشعوب ، فقد تمازجت الثقافات عن طريق الترجمة والاختلاط والبعثات . ونحن العرب لم تعد ثقافتنا من صنعنا وحدنا ، ففي القديم امتزجت بثقافات الفرس والهنود واليونان ، وفي الحديث امتزجت بثقافات الكثير من الشعوب الراقية . ومع ذلك فان الذي يكتفي بالثقافة العربية وحدها انما يحبس نفسه في قوقعة ضيقة ، فاذا لم يكن له المام بلغة اجنبية ، فلا بد لـه مـن الاطلاع على ما يترجم الى العربية مـن روائع الاثار الغربية ، لكي يساير الفكر العالمي .

س ـ كيف تفهم الادب المهجري ؟

ج ـ هذا حديث طويل ، ولكنني اكتفي بالقول ، انني احطت بالادب المهجري احاطة واسعة شاملة ، منذ ثلاثة عشر عاما ، واتصلت بالاحياء من اصحابه اتصالا طويلا ، وعكفت على دراسته عكوفا كثيرا ، حتـى تمكنت من ان اضع عنه كتابا ضخما يطبع الان في دار المعارف في مصر ، وسيكون اوسع المراجع واشملها في موضوعه . وقد احببت ادب المهجر ، لانني وجدت الجيد القوي منه يفتح مفاهيم جديدة واسعة مشرقة فـي الادب العربي ، وقد نقل ادبنا الحديث نقلة واسعة ، تقربه من الاداب العالمية . ولكن ليس جميع ادباء المهجر على مستوى واحد .

س ـ هل يقدر اديب العربية ان يتعاطى النقد والمسرحية فـي آن واحـد ؟

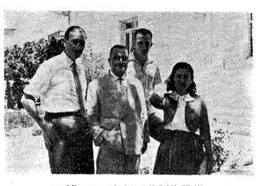
ج ـ المسرحية دعنا منها الان ، فالذين يجيدونها مـن ادباء العرب نادرون ، سواء منها الشعرية والنثرية ، ولكنني اعتقد بان في وسع الاديب ان يجمع بين ثلاثة او اكثر من الوان الادب ، ويجيد فيها ، ومنها النقد والشعر والقصة والمقالة . خذ مثالا واحدا ، ميخائيل نعيمه ، مثلا ، فقد كتب فى المسرحية (الاباء والبنون) وفي النقد (الغربال) ، وفـي الاقصوصة (كان ما كان) ، وفي الرواية (لقاء) ، وفي المقال (مؤلفات متعددة) ، وفي الشعر (همس الجفون) وفي التاملات (كرم على درب) واجاد كثيرا في هذا الخليط كله من الالوان الادبية . وهناك ادباء اخرون وفقوا في الجمع بين ثلاثة الوان او اكثر .

س ـ حدثنا عن الحركة الادبية في الاردن

ج ـ الحديث عن الحركة الادبية في الاردن لا يمكن ان يوفّى فى حديث قصير عابر كهذا ، لانه طويل واسع الجوانب . وقد سبق ان كتبت في (الاديب) مقالا في هذا الموضوع عام ١٩٤٦ ، اقتصرت فيه على الضفة الشرقية من الاردن ، وانا الان ماض في وضع كتاب كبير مفصل عن الادب في ضفتي الاردن ، ارجو ان افرغ منه هذا العام . ولكنني احب ان اشير الى كتاب جامع في هذا الموضوع وضعه اخي وصديقي الدكتور ناصر الدين الاسد منذ عامين . ففيه الكفاية والشبع لمن يريد ان يعرف شيئا مفصلا عن الادب في ضفتي الاردن .

س ـ ما هي الكتب التي وضعتها ؟

ج ـ الكتب التي وضعتها نوعان : الاول ، الكتب الادبية ، وهي : ايليا ابو ماضي ـ طبعتان ـ ، الياس فرحات ، ادب المهجر ، مارس يحـرق معداته (قصة طويلة) ، طريق الشوك (مجموعة اقاصيص) ، خلـي السيف يقول (مجموعة اقاصيص) ، بيت وراء الحدود (قصة طويلة) اناشيدي (مجموعة شعرية)



الفنانة فاطمة المحب وابراهيم عبده الخوري
ومحمود سيف الدين الايراني وعيسى الناعوري

●

والثاني ، الكتب المدرسية ، وهي : بطولات عربية من فلسطين (٣ طبعات) ، الجديد فى الادب العربي (طبعتان) ـ نجمة الليالي السعيدة للاطفال ، (٣ طبعات) ـ ادبنا في مختلف العصور (بالاشتراك مع وهيب البيطار ومحمد العمد) ـ العصفور الاخضر ، للاطفال ، الاغاريد (محفوظات للاطفال) .

ولدي الان مشاريع الكتب التالية ، الاثنان الاولان جاهزان ، والثالث في طريق الاعداد ، وهي : ١ ـ مجموعة اقاصيص مترجمة عن الايطالية ٢ ـ قصة طويلة لم اختر عنوانها بعد ـ ٣ ـ ملامح وصور مـن الادب في ضفتي الاردن .

وهناك ايضا مجموعة كبيرة من الدراسات النقدية في الادب العربـي الحديث ، لدى الاستاذ احمد عويدات يعتزم نشرها في كتب صغيرة لا اعرف عددها بعد ..

س ـ هل تحد المهنة من نشاطك ، ومن نشاط الاديب ؟

ج ـ هذا مما لا شك فيه ، وهي كثيرا ما تجمد النشاط وتقتل الهمة، فالاديب في حاجة الى التفرغ لكي ينتج الانتاج الذي يريده ويرضـى عنه . ولو استطاع الاديب عندنا ان يكسب العيش الكريم من قلمـه وحده ـ كما يفعل الكثيرون من ادباء الغرب ـ لكانت حالة الادب عندنا اليوم غير ما هي . ودعني اضرب لك مثالا واحدا : ارنست همنغوي ، فى اميركا . ترى اية تجربة جديدة ، واية فكرة جديدة كان يمكن ان يطلع بها على الناس لولا تفرغه للعمل الادبي ، فكل كتاب يقدمه للنشر هـو ثمرة رحلة سياحية الى دنيا جديدة ، والى اقوام جدد ، ولو كـان همنغوي « راكدا » في وظيفة معينة ، وكان محتاجا الى ما يعيش به هو واسرته عن طريق المهنة ، لما بلغ شهرته العالمية الواسعة . فلو اتيـح للاديب العربي مثل حظه مـن التفرغ ووسائل الانتقال والمال ، لكـان بيننا من يبلغون مبلغ همنغوي من المكانة العالمية .

س ـ مـا رأيك فى الحركة الفكرية في لبنان ؟

ج ـ نحن نحسد ادباء لبنان على الفرص المتاحة لهم لنشر انتاجهم الادبي على اوسع نطاق عربي ، من دور نشر ، وتوزيع ، ومن صحف ادبية كبرى وصغرى . فهذه كلها ساعدت على جعل لبنان في مركز القيادة للحركة الفكرية في العالم العربي .

س ـ كيف تفهم حركة الشعر الحر ، وهل يكتب لها النجاح ؟

ج ـ لقد كتبت في هذا الموضوع كثيرا . وانا اعتقد ان هذه الحركة الجديدة ، التي نشات منذ سنوات على ايدي بعض الشعراء العراقيين ، ثم وجدت سبيلها الى كل الاقطار العربية ، واصبحت « موضة العصر » انما هي حركة عابرة ، استطيـع ان اصفهـا « بالطيش » والتسرع والارتجال . وهي ككل عمل طائش ستمضي قريبا دون ان تخلف اثرا ، لان من طبيعة الطيش ان يوقع في الفوضى والارتباك ، وقد وقع هذا فعلا

في شعرنا الحاضر ، فلم يعد يظهر فيه « الجيد النادر » لكثرة ما فيه من المفرق ، ولذلك لن تستمر الحركة الجديدة طويلا .

س ـ لماذا لم يصبح الادب العربي في مصاف الادب العالمي بعد ؟

ج ـ عندنا اديب واحد دخل ادبه في الاداب العالمية بشكل واسع ، وهو جبران خليل جبران . وهناك اخرون وضعوا كتبا ببعض اللغات الغربية فنالوا شيئا من الشهرة العالمية ، واخص منهم بالذكر امين الريحاني . كما ان هناك ادباء ترجمت بعض مؤلفاتهم الى بعض اللغات الغربية ، ومنهم طه حسين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وميخائيل نعيمه ، ولكنهم لم يظفروا بشيء ذي بال من الشهرة العالمية .

وانا اعتقد ان الاسباب التي تقعد بادبنا العربي المعاصر عن الوصول الى مصاف الاداب العالمية ، بعضها يتعلق بالغربيين انفسهم ، لانهم لا يستقبلون الكتاب المترجم عن العربية الى لغاتهم كما يستقبلون ما يؤلفه ادباؤهم ولو كان من نفس المستوى والطراز ، وذلك لعدم ثقتهم بنا وبادبنا ، وبعضها الاخر يتعلق بفوضى المفاهيم الادبية الخاطئة عندنا ، وطغيان السياسة على الادب في حاضرنا . وهناك اسباب اخرى ارى ان لا اتعرض الان الا لواحد منها ، وهو عدم تمكن الاديب من التفرغ للانتاج الجيد الذي يفرض نفسه بقوته وجودته .

٣ ـ مع الفنانة فاطمة المحب

س ـ منذ متى بدأت حياتك الفنية ؟

ج ـ منذ الطفولة ، وقد تأثرت بما كنت ارى والدتي تقوم برسمه فاخذت ارسم ، واخذت هي تشجعني كثيرا على ذلك .

س ـ اين درست الرسم ؟

ج ـ في المعهد العالي للفنون الجميلة في القاهرة ، ثم في الولايات المتحدة الامريكية .

س ـ هل تعتقدين ان الفن ميل ام دراسة ؟

ج ـ الاثنين معا فلا بد للفنان من الميل الذي يعتبر امرا اساسيا ، ثم لا بد له من الثقافة الفنية مما يساعده في انتاجه .

س ـ هل اشتركت في معارض فنية واين ؟ وهل فزت بجوائز معينة ؟

ج ـ اقمت معرضا في القدس واخر في عمان ، اما خارج البلاد فقد اشتركت في مسابقة دولية للنحت في لندن بموضوع (السجين السياسي المجهول) . وقد اشترك في هذه المسابقة ٣٥٠٠ فنان من سائر انحاء العالم . فاز منهم ثمانون فقط ، وقد كنت بين الفائزين القلائل ، ونلت جائزة مالية من معهد الفنون المعاصرة في لندن ، وعرض تمثالي في معرض تيت جالري هناك .

وبعدها اختيرت احدى لوحاتي لمعرض فني دولي اقيم في الولايات المتحدة باشراف مجلة هوليدي الامريكية . وكان عنوان الصورة (قائد القافلة) ولقد اقامت لي شركة الملاحة الامريكية معرضا على ظهر بواخرها والان اشترك في معرض ستقيمه الجامعة العربية في الولايات المتحدة قريبا .

س ـ ما هي احب رسومك اليك ؟

ج ـ جميعها محببة الي ولو لم يكن الشيء محبب الي لما قمت برسمه ومع هذا فاني افضل لوحة عن الاردن على جدار مطار القدس ، ولوحة لصبي لاجيء ولوحات تصويرية لبعض اشعار المعري في رسالة الغفران .

س ـ ما هي احب مواضيع الرسم اليك ؟

ج ـ رسم الاشخاص لما يحتاج اليه من تحليلات نفسية وتعبيرات مختلفة .

س ـ ما هي المذاهب الفنية المفضلة لديك ؟

ج ـ المذهب التأثيري (امبرشنست) لانه عبارة عن الطبيعة يعبر عنها الفنان بحسب تأثيرها عليه وبحسب مشاعره ، او هي جمع بين الطبيعة ونفسية الفنان .

س ـ من يعجبك من الفنيين العرب والاجانب ؟

ج ـ من العرب يعجبني رسم جبران خليل جبران ، ونحت مختار ، ومن الاجانب رسم رمبرانت ونحت ميكل انجلو ، اما من الفنيين المعاصرين فاني معجبة برسم اتو نلسن الذي يقوم برسم الدعاية لشركة الخطوط الجوية السكندنافية . ويعجبني بخاصة الوانه ففيها تناسق وجمال كالموسيقى العذبة . وكذلك اعجبتني لوحة من رسم الرئيس ايزنهاور لابراهام لنكولن وقد شاهدتها في مكتب صديقه مستر سيجارد لارمن .

س ـ ما هي الوظائف التي شغلتها ؟

ج ـ كنت رسامة الدعاية السياحية في دائرة السياحة الاردنية ، واعمل الان مفتشة للتربية الفنية في وزارة التربية والتعليم .

س ـ ما هي اهم اعمالك لدائرة السياحة ؟

ج ـ لوحات كثيرة تعرض خارج البلاد وفي المعارض الدولية والسفارات وكذلك بعض المطبوعات من نشرات واعلانات وصورة اهديت للملك سعود عن مسجد الصخرة .

س ـ بمناسبة التحدث عن الدعاية السياحية ، فاني اذكر انني رأيت صورتك الشخصية بالازياء الشعبية على غلاف مجلة اخر ساعة ، وكنت قرات انك ظهرت في افلام سياحية سينمائية ملونة في الازياء الشعبية المختلفة للبلاد ، فهل لك ان تحدثيني عن ذلك ؟

ج ـ فعلا هو ما ذكرت فقد ظهرت صورتي قبل حوالي عامين على غلاف مجلة اخر ساعة وكذلك على غلاف مجلة سويسرية سياحية . وظهرت في الازياء الشعبية لبيت لحم في كنيسة المهد في مشهد من فيلم سينمائي ملون ايطالي وظهرت في عدة ازياء في فيلم سياحي امريكي

س ـ بمناسبة اشتغالك في التربية الفنية ما هي أهم الاهداف لهذه التربية ؟

ج ـ الاهداف كثيرة ولكن اهمها استكمال الثقافة العامة بالثقافة الفنية ثم توليد الابتكار ، وتقدير النواحي العملية ، والذوق السليم ، وحب الجمال وغيرها من الخصال الحميدة ، وتشجيع المواهب الفنية .

س ـ هل يعجبك الفن الشرقي الصميم ؟

ج ـ اني معجبة جدا به وادعو لاحيائه وتشجيعه .

س ـ ما هي المجلات التي كتبت عنك ؟

ج ـ كثيرة منها في الاردن وفي الخارج مثل الشبكة ، وجريدة النهار ومجلة الشرق الادنى ، والمختار ، واخر ساعة . وفي امريكا ، مجلة استا ومجلة هوليدي ومجلة الاخبار ، ومجلة العالم العربي وجرائد كثيرة وكلها بالانكليزية

س ـ ما رأيك في النهضة الفنية العربية والاردنية ؟

ج ـ لا يزال الشرق في مبدأ نهضته الفنية ، مع انه كان لديه تاريخ فني مجيد ، ولكن هنالك من التشجيع وتفهم الشعب للامور الفنية ما يبشر بالخير والسير للامام

س ـ ما هي هواياتك الاخرى ؟

ج ـ احب الادب والموسيقى وخاصة الهاديء منها اذ اميل الى الهدوء وقد كنت قدمت عدة احاديث اذاعية حول المواضيع الفنية من الاذاعة الاردنية والشرق الادنى وصوت اميركا كما وانه من هواياتي حب كل ما هو جميل ، واقدر كل من يهمه هذه النواحي التي اقدرها .

ابراهيم عبده الخوري


أما بين
الحلم
والحقيقة...
ورقة
اليانصيب الوطني اللبناني
التي تنقلك الى عالم السعادة



نوفمبر

١٧ نوفمبر ١٩٥٩ — جرت في طهران محادثات رسمية بين شاه ايران ورئيس جمهورية باكستان ورئيس وزراء تركيا بشان القضايا التي تهم الدول الثلاث .

— وصل اديناور مستشار المانيا الفدرالية الى لندن .

— أقرت الامم المتحدة قرارا يدعو افريقيا الجنوبية للامتناع عن سياسة التمييز العنصري .

١٨ — احتلت القوات الشيوعية المناوئة للحكومة موقعا عسكريا في لاوس قرب الحدود الصينية .

١٩ — عرض خروشوف ان يقوم الاتحاد السوفياتي بتحطيم المخزون لديه من صواريخ ذرية اذا ما حذت الدول الاخرى حذوه .

٢٠ — اقترح نهرو على الصين الشعبية جعل منطقة لاداخ المتنازع عليها منطقة محرمة بجلاء قوات الدولتين عنها .

— دعت الجمعية العامة فرنسا الى الغاء تجاربها الذرية المقرر اجراؤها في صحراء الجزائر .

— اعادت حكومة الجزائر تأكيدها انه لا يمكن عقد اتفاق لوقف اطلاق النار دون الحصول على ضمانات لمبدأ تقرير المصير الذي عرضه ديغول . وعهدت الى الزعماء الجزائريين المعتقلين بمهمة اجراء محادثات .

٢١ — وافقت سبع دول اوروبية على انشاء كتلة تجارية موحدة باسم « جماعة التجارة الحرة الاوروبية » وهي بريطانيا والنمسا والدنمرك والنروج والبرتغال والسويد وسويسرا .

٢٢ — قال نهرو : سندرب كل فرد في الهند عسكريا . نحن مسالمون ولكن العالم لا يحترم الضعفاء .

٢٤ — اعلن مندوب ايطاليا امام لجنة الوصاية في الامم المتحدة ان حكومته اتفقت مع حكومة الصومال على جعل اول يوليو المقبل موعدا لحصول الصومال الايطالي على استقلاله .

— قدمت امريكا الى الامم المتحدة مشروع قرار باعادة توحيد كوريا المجزأة .

٢٦ — تم اتفاق الجمهورية العربية وصندوق قروض التنمية الامريكي على تقديم قروض لتنفيذ عدد من مشروعات تصنيع الجمهورية العربية .

٢٧ — وصل الملك حسين الى بون واجتمع بالمستشار اديناور

٢٨ — اعلنت جاكرتا الاندونيسية مدينة مقفلة في وجه الاجانب تنفيذا لصالح الامن العام والسلامة

٢٩ وصل الملك حسين الى لندن في زيارة تستغرق اسبوعين

٣٠ — صرح المستشار اديناور بان وضع اوروبا الراهن غير مقبول

ديسمبر

اول ديسمبر ١٩٥٩ — اعلن في القاهرة ولندن استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين

— صادقت ١٢ دولة من بينها الاتحاد السوفياتي على معاهدة تاريخية تضمنت الموافقة على تكريس القارة القطبية لاغراض علمية

— خطب خروشوف في مؤتمر الحزب الشيوعي المجري فقال ان اهم قضية تشغل العالم الان هي تخفيف حدة التوتر ومنع الحرب واقامة سلم دائم

٢ — عاد ايزنهاور الى بون بعد ان اجرى في باريس محادثات سرية مع ديغول واعلن انه وديغول متفقان على جميع القضايا القائمة بينهما

٣ — بدأ ايزنهاور جولته التي سيزور اثناءها ١١ دولة في اوروبا وافريقيا وآسيا

— غادر اللواء قاسم المستشفى بعد انقضاء ٥٦ يوما على اصابته بكسر في ساعده في محاولة لاغتياله .

— وصل ايزنهاور الى روما في زيارته لايطاليا والفاتيكان

٤ — استقال الجنرال اديسون بيرنز من منصب قائد قوة الطوارىء الدولية في الشرق الاوسط وعينت الامم المتحدة القائد الهندي الجنرال جياني خلفا له

٥ — احتج الحزب الشيوعي الايطالي على ان روما لم تقدم لايزنهاور استقبالا كبيرا يليق به .

— صدر بلاغ امريكي ايطالي مشترك جاء فيه « ان اشتراك ايطاليا المتزايد في وضع سياسة غربية شاملة هو لصالح الدول الغربية »

٧ — وصل ايزنهاور الى كراتشي بعد ان زار تركيا

٨ — أقترحت اللجنة السياسية للأمم المتحدة على مشروع قرار يدعو الى قيام مفاوضات سياسية بين الجزائر وفرنسا .

٩ — وافقت الجمعية العامة على تمديد اجل وكالة الاغاثة للاجئين الفلسطينيين مدة ثلاث سنوات ابتداء من يونيو ١٩٦٠

— وصل ايزنهاور الى نيودلهي بعد ان زار افغانستان

١٠ — وصل ديغول الى سان لوي ليراس المجلس التنفيذي للاتحاد الفرنسي

١١ — دعا ايزنهاور في نيودلهي جميع الامم الى الاشتراك في حرب نبيلة صحيحة ضد الجوع كخطوة نحو سلام دائم

١٢ — بدات ثورة حربية في بارغواي لالغاء الدستور الحالي واسقاط الجنرال الفريدو ستروسنر رئيس الجمهورية

— رفضت الجمعية العامة اتخاذ قرار ايجابي بشان الجزائر

١٤ — وصل ايزنهاور الى اثينا قادما من طهران .

— اعلن انتخاب المطران مكاريوس اول رئيس للجمهورية القبرصية

١٦ — كلف ابو بكر تافاوا باليوا تشكيل اول حكومة لنيجيريا المستقلة

— يشتد الخلاف في المجلس الوزاري لحلف الاطلسي بين امريكا وفرنسا .

١٧ — اعلن سوكارنو ان حالة الحرب في اندونيسيا قد مددت الى اجل غير مسمى

— اعلنت حكومة بارغواي ان جيش الثوار قد تمت تصفيته

١٨ — وصل ايزنهاور الى باريس ليحضر اجتماع الاقطاب الغربي قادما من تونس .

١٩ — عقد مؤتمر الاقطاب في باريس وحضره رؤساء حكومات امريكا وبريطانيا والمانيا وفرنسا

٢١ — انتهى مؤتمر الاقطاب الغربي . وارسل رؤساء حكومات امريكا وفرنسا وبريطانيا رسائل الى خروشوف لعقد مؤتمر الذروة في ٢٧ ابريل في باريس

— وصل ايزنهاور الى مدريد ثم برحها الى الدار البيضاء

٢٢ — صدر بلاغ مشترك في الدار البيضاء بان القوات الامريكية ستبدأ الانسحاب من المغرب وتنهي انسحابها سنة ١٩٦٣

— اشتد التوتر بين ايران والعراق وقد نشبت الازمة بين البلدين بعد ان طالب اللواء قاسم بقطعة من الاردن بالقرب من عبادان

— منح البنك الدولي الجمهورية العربية قرضا بمبلغ ٥٦،٥٠٠،٠٠٠ دولار لتطوير قناة السويس